المكتبة العامة لندوة العلماء
مكتبة الشرقية شبلي النعماني
ندوة العلماء - لكهنؤ الهند

نام کتاب	نام مصنف
البحث الاسلامی	سید الرحمٰن الاعظمی ندوی
	دستخط

نمبر ۱۳۲۴
۱۳۲۵

١٣٤٤
١٣٢٥٨

شعارنا التوحيد
الإسلام بتجديد

المجلد ٤٥

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

الإنسانية تنتظركم ، أيها العرب !
الحركة الإلحادية في العالم الإسلامي
وصايا للطلاب و الطالبات
بين الأسلمة و العولمة
تاريخ نزول القرآن الكريم
قضية تعليم المرأة المسلمة و واجباتها
نظام الأسرة في الإسلام
وتحديات العصر الحاضر (النكاح والطلاق)
نظرة الإسلام إلى المال
قضية النسخ في القرآن المجيد
السنة ودورها في الفقه الجديد
تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية
نهضة العالم الإسلامي ،
في ظلال القرآن الكريم
الى رحمة الله تعالى :

☆☆

تصدر عن
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

٨٣٤٤
١٣٢٥٥٨

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد الخامس والأربعون

العدد الأول
شعبان - رمضان ١٤٢٠هـ
نومبر- ديسمبر ١٩٩٩م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد
في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين
زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد
في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم
واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جِدته وحياته
ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة
هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة
من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :
﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾
(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧(الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

وبعد ! فأحمد اللّه سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من اللّه سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق اللّه ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

واللّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية
في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي
☆☆☆
عنوان المراسلات
ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)
☆☆☆
وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)
☆☆☆
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆
* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

محتويات العدد

أخي القارئ :

الافتتاحية :

☆ بين الأسلمة و العولمة ! — سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

☆ الإنسانية تنتظركم ، أيها العرب !!! — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ٨
☆ الحركة الإلحادية في العالم الإسلامي للأستاذ أسرار عالم — ترجمة : الأستاذ عطريف شهباز الندوي ١٤
☆ وصايا : للطلاب والطالبات — الدكتور محمد بن سعد الشويعر ٢٤

الدعوة الإسلامية :

☆ تاريخ نزول القرآن الكريم للشيخ محمد تقي العثماني — ترجمة : الأستاذ محمد أسجد البستوي ٣٢
☆ قضية تعليم المرأة المسلمة و واجباتها — الأستاذ محمد صادق حسين ٤٣

الفقه الإسلامي :

☆ نظام الأسرة في الإسلام ، وتحديات العصر الحاضر (النكاح والطلاق) — الأستاذ عتيق أحمد القاسمي ٥١
☆ نظرة الإسلام إلى المال — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٦٣

دراسات و أبحاث :

☆ قضية النسخ في القرآن المجيد — د/محمد إبراهيم النكلوي ٧٠
☆ عرض ونقد لكتاب :
☆ السنة ودورها في الفقه الجديد للأستاذ جمال البناء المصري — د/محمد أبو الليث الخيرآبادي ٨١

إصدارات جديدة :

☆ تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ٩٢
☆ نهضة العالم الإسلامي ، في ظلال القرآن الكريم ٩٣
☆ أسوة رحمة للعالمين ، و واقعنا العملي — قلم التحرير (س. أ.) ٩٣

إلى رحمة الله تعالى :

☆ فضيلة الشيخ المحدث عبد الرشيد النعماني في ذمة الله تعالى ٩٤
☆ فضيلة الشيخ محمد رضوان الندوي بجوار رحمة الله تعالى ٩٦
☆ الأستاذ مير مقصود علي خان ٩٨
☆ الأستاذ شمس بير زاده في ذمة الله تعالى ٩٩
☆ رحلة الشيخ خصال الدين إلى رحمة الله تعالى
☆ المحدث ناصر الدين الألباني في ذمة الله تعالى — قلم التحرير (س. أ.) ١٠٠ ١٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرنا أن نتقدم إليكم - بمجرد فضل اللّه تعالى وعونه - بهذا العدد الأول الذي يُفتتح به المجلد الخامس والأربعون من هذه المجلة التي استكملت من العمر ٤٤/عاماً ، قامت خلال ذلك بتقديم مواد علمية دسمة إليكم ، باستمرارية وبشعور خاص بالمسئولية .

وهي مكبة على أداء رسالتها من "البعث الإسلامي" رغم قلة بضاعتها وضعف إمكانياتها ، إلى العالم الحديث الذي هو أحوج ما يكون اليوم إلى بعث إسلامي جديد ، ويتطلع إلى قيادة حكيمة تعيد إليه الثقة بالإسلام ، وتوفر ثروة الأمن والإيمان إلى المجتمعات البشرية التي طالما تسكعت في دياجير الحيرة والضلال ، وترقبت تلك الفئة المؤمنة التي تقوم بدور "سفينة النجاة" أو "فريق الإنقاذ" .

قامت المجلة ولا تزال - بمشيئة اللّه تعالى - بمثل هذا الدور الإيجابي تحت إشراف الرجل المؤمن الغيور الداعية الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، منذ أول يومها ، فمنه تستوحي روح العمل للمبدء والثبات عليه ، وبه تستعين - بعد الاستعانة باللّه - في تذليل العقبات الكاداء التي تعترض طريقها ، وتهددها بألوان من المخاوف المستقبلية حيناً ، وتطالب بتجريدها عن هويتها الإسلامية ، حيناً آخر .

هناك ظروف إعلامية ومادية ، وهناك عوائق كثيرة قد تحول دون متابعة هذه الرحلة الصحفية الهادفة ، وتعوق سير المجلة عن التقدم إلى الأمام ، ولكن اللّه سبحانه وتعالى الذي يذلل العقبات ، ويحل المشكلات ، يوفق عباده المخلصين إلى التوكل عليه والاعتماد على نصرته ، لا الاتكال على الوسائل والأسباب فقط .

من ثم نسأل اللّه سبحانه أن يسهلَ علينا أداء المسئولية ، ويوفر لنا من الوسائل ما نحن بحاجة إليه ، ويجعل التوفيق الكامل حليفنا في هذه المسيرة ، ويسدد خطانا في هذا السبيل .

فإنه نعم المولى ونعم النصير .

سعيد الأعظمي

١٤٢٠/٦/٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

بين الأسلمة والعولمة !

المناهج التي أفرزها الفكر الغربي المادي لحياة الإنسان في العالم الحديث ، إنما كانت مرفوضة لدى الفكر الإسلامي لأنها كانت تحارب المبادئ التي جاء بها المنهج الإسلامي للحياة فهي لم تكن تغطى جميع جوانب الحياة ، وتعطي حقها من الإنصاف والشمول الطبيعي الذي يتفق وفطرة الإنسان ، ثم إن الأسس التي قامت عليها هذه المناهج كانت مادية خالصة ، بعيدة عن الوشائج التي تربط الإنسان بخالقه ، وتحليه بحلية العقيدة التي تدفع صاحبها إلى ترخيص النفس والمال في سبيلها ، ولقد تبنى الغرب الفكر المادي البحت ، بصرف النظر عن المطالب الوجدانية والعواطف القلبية التي لا تتكامل الشخصية الإسلامية بدونها ، إن الفكر الغربي قد حاول قطع صلة ظاهر الحياة الإنسانية عن باطنها ، ورأى إليها من خلال منظار المادية التي تخدم ظاهر الإنسان ، وتسمن جسمه ، ولكنها تجرده عن العاطفة والضمير ، وتدفعه إلى السباق في مجالات القوى المادية من المال والحكم والسياسة والاقتصاد والذخائر والطاقات ، وذلك هو الهدف الأصيل الذي تسعى إلى تحقيقه الحضارات المادية كلها ، وتدخل في مضمار السباق للحصول على أكبر قسط من الربح المادي العاجل ، إذ ليس لديها أي تصور للحياة الآخرة التي هي أساس الحضارة الإسلامية التي لا لذة في الحياة لديها من غير هذه العقيدة ، والإيمان بالله الواحد الأحد : ﴿ إلهكم إله واحد * فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة * وهم مستكبرون ﴾ .

وكل ما خلقه الله سبحانه في هذه الدنيا من آيات و وسائل لبناء هذه الحضارة وتغذية القلوب بنعمة الهدوء والطمأنينة ، ليس إلا لكي يعد

الإنسان نفسه للآخرة في ظلال وارفة من الزاد الإيماني ، ويعمر القلب بالحب الخالص لله ، ويتمنى لقاءه في الآخرة بزاد طيب من العمل الصالح ، ولمجرد أن يعيش المرء في هذه الدنيا لآخرته ، أنزل الله سبحانه كل شئ مما يتكفل له بضمان المعيشة الهادفة الهادئة ، من الخيرات والبركات ، ونعم الحياة المادية ، يشير إلى هذا الواقع في آيات من كتابه العزيز : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم * منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب * ومن كل الثمرات * إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار * والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره * إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه * إن في ذلك لآية لقوم يذكّرون ﴾ من هذه الآيات البينات نستطيع أن نتبين موقف الإنسان من هذه الدنيا ، و مباهجها ومتعها ولذاتها ، وأنه لم يخلق لاشباع نهمته بها ، والاستمتاع من خيرات الأرض والسماء ، دون أن تكون له فيها آيات للتفكر واستخدام العقل فيها ، والتذكر في المصير الذي ينتهي إليه ، وما سيواجهه هناك من تساؤلات و محاسبات واختبارات ، وما يجازي بعد ذلك من جنات ونعيم أو بالعكس ، ذاك أن حياته ليست كما كانت تزعمها جماعة من أهل الكفر و النفاق ، و تقول : ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا * نموت ونحيا * وما نحن بمبعوثين ﴾ إنما هي لتهيئة الزاد للحياة الحقيقية السرمدية التي تتحلى بالخلود والبقاء الدائم ، ومن هنا كانت الحياة الدنيا في الواقع طريقاً واسعاً إلى الآخرة التي لامرية فيها .

هكذا يربى الإسلام أتباعه ويدفعهم إلى التزود من الإيمان الخالص والعمل الصالح ، بالأخذ من نصيبه مما أفاء الله سبحانه عليهم من النعم التي لا يأتي عليها الحصر ، وما أفاض عليهم من خيرات السماوات والأرض ما لا تهنأ الحياة بدونه ولا تهدأ ، وذلك هو الأساس الذي تبتني عليه حضارة الإسلام ، وكل أساس سواه يعتبر ناقصاً لا يرتفع عليه بناء إلا

وينهار لأدنى صدمة أو زلزال ، و ذلك ما يؤثره الفكر المادي لبناء حضارته ، ويُعرض عن جانب العقيدة الذي يخلع على الحياة لباس الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، ويزينها بالإيمان بالغيب : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب * ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

إن مناهج الفكر المادي للحياة مهما كانت جميلة ومزخرفة ، ولكنها لا تكتمل ما لم تقم أوساطنا الإسلامية الدعوية والفكرية بأسلمتها ، وإدخال التصور العقدي في أسسها ، ولا يمكن الاستفادة منها ما لم نصبغها بالصبغة الإيمانية الثابتة ، ذاك أنها ضرورة حتمية ، وحاجة لا مناص منها للمجتمعات الإسلامية اليوم التي تواجه تحديات حضارية كثيرة ، ومخططات معادية تستهدف هدم البناء الاجتماعي الإيماني في العالم الإسلامي كله ، فنحن مسئولون عن أسلمة هذه المناهج المجردة عن الفكر الإيماني ، وتحويل وجهتها من الهدم إلى البناء ، ثم الاستفادة منها في سبيل التطوير والتجديد لبناء المجتمع الإسلامي العلمي والحضاري ، حتى نتمكن من قيادة الغرب في هذا المجال ، كما هو الشأن لدى المسلمين الذين حملوا إلى أرض "أوربا" ثروة العلم والتقنية والهندسة والاجتماع والطب والفلك والرياضيات في القرون السابقة ، و زودوا أهلها بالمعارف والأدب والفن و الحضارة يوم كانت "أوربا" تعيش عصر الظلام والهمجية والجهل والأمية ، و تنام نوم السبات ، و لو لا أن الله سبحانه وتعالى قيض لها العلماء المسلمين ، والدعاة المرشدين ، والهداة القائدين ، لما كان لها هذا الشأن من العلم والحضارة ، وكانت أوربا أجدر بأن لا تتناسى هذه المنة العظيمة للمسلمين التي أسدوا بها إليها ، وكان من قبيل العرفان بالجميل أن تؤسس حضارتها المتميزة على روح الإسلام ، وفكرة الإله الواحد القهار ، ولكنها بالعكس من ذلك تنكرت لحضارة الإسلام ، وتعانقت مع المادية الرعناء المجردة عن كل عقيدة وإيمان.

أما العولمة تلك النظرية المعاصرة التي ملأت العالم تساؤلات وتفسيرات

مختلفة ، فما هي إلا عنوان للنظام العالمي الجديد الذي نادى به الغرب ، وأطلق هتافه بذلك مستهدفاً إقامة الشعوب والمجتمعات كلها ، ولا سيما الأمة الإسلامية تحت لوائه وسيطرته ، تارة باسم التطورات العلمية والحضارية ، وبعنوان التغييرات التي تحدث في الأفكار والمفاهيم الحيوية ، وتارة أخرى باسم تصحيح المسيرة الاقتصادية ، وتوحيد الأسواق التجارية العالمية ، إلا أن الهدف الرئيس من كل ذلك ، إنما هو إقامة الحجة على أن النظام الإسلامي للحياة ، لم يعد صالحاً للتطبيق في عصر قطع فيه العلم الحديث أشواطاً بعيدة في واقع الإنسان والكون ، فالمجتمعات البشرية كلها تتطلع إلى نظام عالمي يسعفها في هذا الخضم الحضاري ، فلا مناص إذن من إيجاد ذاك النظام العالمي ، وفتح أبوابه على العالم كله ، لكي لا يتعقد العيش ، و لا يتجمد النشاط ، ولا يرجع العالم البشري رجعة القهقرى إلى الوراء ، وتفوته ثمار العلم والتقنية ، ويضمحل العمل الإبداعي من جميع النواحي ، وذلك ما لا شك في كونه خسارة فادحة لا تعوض بأي طريق ممكن .

إننا لا نحارب العولمة بمفهومها العلمي والاقتصادي ، ولكننا نريد أن نقيها من سموم الهواجر اللافحة ، ومن حرارة شمس "المادية" ، ونلجئها تحت ملجأ الإيمان ومظلة العقيدة ، ونخلع عليها لباس الفكر السليم ، والهدف النبيل ، ونفجر ما فيها من طاقات بناءة لصالح البشرية جمعاء ، ومن لا يدري أن الإسلام هو النظام العالمي السماوي الذي أنزله خالق الاكوان والإنسان ، وهو يشمل الطبيعة البشرية ، ويخلد مع الزمان ، ويصلح لجميع الأجيال والعصور ، وكل نظام عالمي جديد يسير على خطه وفق الطبيعة ، وفي ضوء الفطرة فذاك مضمون النجاح ، والمسلمون الواعون بجميع فئاتهم وطبقاتهم مسئولون عن أسلمة هذه المصطلحات العالمية ، وإدخالها ضمن منهج الإسلام للحياة : ﴿ ذلك الدين القيّم * ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وصدق الله العظيم

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

الإنسانية تنتظركم ، أيها العرب !!!

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
(رئيس العام لندوة العلماء)

[إنها محاضرة ألقاها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في اجتماع عقدته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حضره كبار العلماء في المدينة المنورة ، والمسئولون عن الجامعة الإسلامية ، وشرفه رئيس القضاة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز الصالح (رحمه الله) وسماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن الباز (رحمه الله) وأمير المدينة المنورة .
يرجع تاريخ هذا الاجتماع إلى الأيام الأولى لتأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .
تتحف هذه المحاضرة إلى قرائنا الكرام ، بالنظر إلى قيمتها التاريخية والتربوية الكبيرة] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تبارك وتعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وبارك وسلم ، أما بعد !

☆ حضرات السادة الأجلاء ! لقد اعتاد المؤلفون القدامى إذا افتتحوا كتاباً والتمسوا العذر للتأليف ، قالوا : أمرني فلان ، أمرني مَن أمره حكم وطاعته غنم ، يحلو لي أن أردّد هذه الكلمة باستحقاق مناسب للحال ، وما كان يجول بخاطري أني سأسهم في هذا الحفل الكبير الذيَ له قيمة كبيرة بتشريف صاحب السمو الملكي وحضرة رئيس القضاة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز الصالح ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، وهذه صفوة مختارة نخبة من أعلام العالم الإسلامي اليوم ، حاشاي إذا ذكرت نفسي الصغيرة ، ولكن هذا شرف وهذه فرصة كريمة يجب أن تنتهز ، ولعل الله يفتح عليّ بما ينفعني قبل كل واحد ، وما يكتب عند الله من حسناتي ومن حسنات هذه الساعة .

ما عساي أقول لكم أيها الإخوان ! أيها السادة الأجلاء ! إن من سبقني من أهل الفضل قد أشبع الكلام وأحاط بالأطراف وأفاد وأجاد ، ولكني إذا رأيت مندوحة في الكلام ومبرراً ، فذلك ما ألهمت في هذه الساعة ، عفو الساعة فيض الخاطر ، وهو أن أبلغ إليكم أمانة عزيزة في عنقي ، أمانة الشعوب التي زرتها ، والبلاد التي أتاح الله لي الفرصة لزيارتها ، وأبلغ إليكم رسالة من الشعب الذي أنتمي إليه ، الشعب المسلم الغيور الذي يقطن شبه القارة الهندية ، والشعوب الإسلامية وغير الإسلامية .

أيها السادة ! إن هنالك كل شئ ، إن العالم قد اتخم ، قد اتخم بالحضارة ، واتخم بالآلات ، واتخم بالمعلومات ، واتخم بالمكتبات ، واتخم بالمطبوعات ، و اتخم بالصحافة ، و اتخم بنتائج حصاد العقل الإنساني النابغ ، ولكنه يشكو فراغاً ، يشكو فراغاً في هذا المجتمع ، يشكو فراغاً في هذه الحياة ، وفراغ القلب المخلص المتألم المؤمن ، فراغ العقل الواعي المؤمن ، فراغ الإخلاص ، فراغ التألم للبشرية ، إنكم تجدون في أوربا ، تجدون في آسيا وإفريقيا على تخلفهما ، كل ما أنتجته القرائح البشرية ، وكل ما دبجته الأقلام ، كل ما خلفه السلف للخلف ، ولكن هذا العالم يشكو فراغاً ، الفراغ الذي أفقد رونق كل شئ ، الفراغ الذي طمس معالم النور ، معالم الحياة ، الفراغ الذي جعل كل ذلك هباءاً منثوراً ، ويا ليته كان هباءاً منثوراً ، لا ، ولكنه قد حول هذه الآلات إلى آلات مدمّرة ، وحول هذا العقل إلى عقل مدمر ، إلى عقل مفسِد ، إلى عقل شيطاني إبليسي ، وحول هذه المدنية جحيماً ، إنه قد استفاد ، قد استمد في العهد الذي تحدث عنه سماحة الشيخ أستاذنا الشيخ عبد العزيز ، وتحدث عنه العالم الجليل الشيخ محمد الحبيب الخوجة ، قد استمد هذا العالم كله ذلك النور ، تلك الهداية ، وملأ ذلك الخواء ، ملأ ذلك الفراغ الهائل الواقع في ما كانت تملكه البشرية في

ذلك العهد الراقي المتمدن ، إنه استمد من هذه المدينة التي كانت تعيش في عزلة عن العالم ، وفي أقصى العالم ، في هذه البلاد التي زهد فيها الطماعون ، وزهد فيها الطامحون ، وزهد فيها عباد النفس وعباد الشهوات ، وعباد الملك والسلطان ، زهدوا فيها لقلة خيراتها ، زهدوا فيها لقلة حولها وطولها ، زهدوا فيها لقلة الآثار المدنية فيها ، ولكن هذه المدينة ، هذه المدينة المنطوية ، المنطوية على نفسها قد أفاضت على العالم الإيمان بعد ما فقده العالم كله ، بدياناته وبنظمه وبأخلاقه وبمفكريه وبفلاسفته ، كان العالم يحتاج إلى الإيمان ، والإيمان قد فقد من مراكز كانت محتكرة للإيمان ، كانت مظنة للإيمان إذا صحّ التعبير ، إن المسيحية قد فقدت الإيمان نفسها ، إن اليهودية قد فقدت الإيمان نفسها ، إن البوذية قد فقدت الإيمان نفسها ، إن البرهمية قد فقدت الإيمان نفسها ، إن المجوسية قد فقدت الإيمان نفسها ، وكلها كانت تعيش ، تعيش في تذبذب ، تعيش في السراب ، تعيش في شكوك ، تعيش في : ﴿ ظلمات بعضها فوق بعض * إذا أخرج يده لم يكد يراها * ومن لم يجعل الله له نوراً * فما له مِن نور ﴾ استفاد هذا العالم من هذه المدينة ، أقسم بالله إن هذا العالم ، إن أثمن ما وجده هنا ، ليست المدنية ، وليست الحضارة ، وليست هذه الحواشي الرقيقة للمدنية ، وليست هذه الفلوس التي كان يعيش بها العالم كله ، إنه استفاد الإيمان القوي ، الثقة بالله ، التوحيد الخالص النقي ، الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى ، ثم الإيمان بكرامة الإنسان ، الإيمان بأن الإنسان هو أشرف خلق الله ، هو أشرف صنائع الله ، وأفضل صنائع الله ، وأجمل صنائع الله ، هذه التحفة ، هذه القوة ، القوة الكامنة ، القوة الدافقة ، التي استفادها العالم من هذه الجزيرة ، فعاد كل شئ له معنى ، قد كان قد أصبح كل شئ ليس له معنى ، ألفاظ وأسماء بلا مسميات ، وألفاظ بلا معان ، وصور ودمى لا روح فيها ولا حياة : ﴿ أوَ من

كان ميتاً فأحييناه * وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس * كمن مثله في الظلمات * ليس بخارج منها ﴾ هذا كان مثل العالم كله ، فالشيئ العزيز ، الشئ النادر الذي يئست منه الإنسانية ، ونفضت منه يدها ، وقطعت منه رجاءها ، الشئ الذي كان يحول العالم كله عالماً إنسانياً ، قد أصبح غابة تحكم فيها شريعة الغابات وقانون العصابات ، بحراً يأكل فيه الحوت الكبير الحوتَ الصغيرَ ، امتهن الإنسان نفسه ففقد القيمة وصار يعبد كل ما كان دونه فضلاً عما كان فوقه ، من هنا وُجد الإيمان بعد آلاف من السنين ، بعد فترة قصيرة قضتها المسيحية ، على هدى من الله ، وبعد فترة قصيرة قضتها الرسالات السماوية التي أكرم الله بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكنه أصبح نورهم ونورها ضعيفاً ، كاليراعة التي تلمع في ليلة باردة مطيرة ، هنا طلعت الشمس الوهّاجة ، هنا طلعت الشمس المشرقة التي تملأ القلوب إيماناً وحماساً وحرارةً وحياةً ، فأبلغكم أيها الإخوان ! وأتشرف بهذا التبليغ ، وأستحل به هذه الجسارة التي ارتكبتها أمامكم ، أبلغكم رسالة الإنسانية المعذبة ، أبلغكم رسالة الإنسانية التعسة ، أبلغكم رسالة الإنسانية الشقية ، بنفسها وبعلمها وبعقلها وبمدنيتها ، هؤلآء الملايين من البشر في الهند ، والله إنهم متهيئون ولي حق أن أتحدث عنهم بحكم أني مواطن ، بحكم أني إبن الهند ، وبحكم أني ولدت ونشأت وتعلمت هناك ، أبلغكم أنين هذا الشعب ، أبلغكم زفرات هذا الشعب ، أبلغكم تأوُّهات هذا الشعب ، هذا الشعب يقول بلسان الحال وبلسان القال ، أين المنجدون !! أين المغيثون !! أين النجدة !! إنهم ينظرون إلى هذه الجزيرة ، لأنهم عرفوا أن هذه الجزيرة أفاضت عليهم هذا النور بعد ما انطفأ النور كله ، وأفاضت عليهم الحياة بعد ما فقدوا الحياة كلها ، إن هؤلآء المجوس ، إن هؤلآء البوذيين ، إن هؤلآء الوثنيين ، والله متهيئون لقبول الرسالة كما كان

يتفضل بها فضيلة الشيخ عبد العزيز ، وصاحب السمو الملكي ، إنني أقول لكم وأحلف بالله وأنا هنا في رحاب مسجد الرسول الكريم ﷺ ، أنا تحدثت في حفل حاشد في إحدى عواصم الولاية المتحدة الشمالية في الهند ، في ظل أكبر محكمة قانونية في الهند في "إله آباد" ، تحدثت إليهم وكان يرأس هذا الحفل محامٍ حقوقي كبير بارز من كبار الحقوقيين ، تحدثت عن الإسلام وتحدثت عما تقاسيه الإنسانية والبشرية ، فلما جاء دوره أثنى علي وأيّدني ، وكلهم عيون شاخصة ، وقلوب متطلعة ، وآذان واعية إلى أن ينجدهم الإسلام ، إن هذه الأرواح ، إني أقول لكم : يجب علينا أن نتقي في هذه الأرواح المتعطشة ، في هذه القلوب الخاوية ، في هذه النفوس الزاوية ، اتقوا الله ، أيها الإخوان ، وأنا أقول : -- أوصي نفسي أولاً وإياكم ، وأنا إنما أعتبر نفسي أحد أعضاء هذه الأسرة الكريمة ، وأتشرف بذلك -- اتقوا الله في هذه الشعوب التي تتسكع في الدياجير ، التي تتسكع في الظلام ، التي ترزح تحت نير الاستعباد ، والاستعباد ليس حكماً ، ليس حكم الأجانب ، إن حكم الأجانب شئ موقت ، شئ قصير وزائل ، لقد زال هذا الظل البغيض من الهند من غير رجعة ، فلا يرجع إليها أبداً ، ولكن حكم الخرافات ، حكم الجهالة ، حكم عبادة النفس ، هذه أطول أمداً ، وأعمق مدىً وأوسع أرجاءاً من هذا الحكم الذي هو خلاف الطبيعة ، الذي هو ضد الطبيعة ، والذي هو غير صالح للبقاء ، إن تقليد حكم أمة لأمة على أساس الاستعباد ، وعلى أساس الاستغلال ، قد زال ، إن العصر قد تنكر له وأصبح شيئاً لا محل له ولا مجال له في هذه الحياة المتمدنة ، و لكن علينا أن نهزم هذا الحكم ، حكم الشهوات ، حكم النفوس ، وحكم المادة ، المادة الرعناء ، التي قد مجّها الناس ، وما هذه الطرق التي تستنكرها الخنافس وغير الخنافس إلا آثار ذلك المرض الذي قد تسرب ، قد نفذ إلى الأعماق ، إنه كالجدري ،

إذا كان حمى فإنه يظهر ، يثبت وجوده بالجدري ، الذي ظهر على وجه المدنية الباهر الجميل ، فهذه كلها حركات التذمُّر ، حركات السآمة التي قد بدت طلائعها من أمريكا ومن أوربا ، ما هي إلا آثار السآمة وآثار الضجر ، آثار الضجر النفسي ، وآثار اليأس من صلاحية هذه المدنية للقيادة ، وهنا دور الإسلام ، هنا دوركم أيها الأماجد ! هنا دوركم يا أشبال الأسود ! هنا دوركم يا قادة البشرية ! هنا دوركم يا أساتذة المدنية ! يا اساتذة أساتذة أساتذة العالم ! هنا دوركم ، وحرام علينا أن نفوت هذه الفرصة ، أن تفوتنا هذه الفرصة الكريمة ، هنا الشعب الهندي البرهمي ، هنا الشعوب المسيحية ، هنا الشعوب البدوية ، التي نصف متعلمة في إفريقيا وفي غير إفريقيا ، هذه كلها تمد إليكم يد الاستغاثة ، وترفع إليكم صوتها النابع من أعماق النفس ، تقول لكم إلى متى أيها العرب ! إلى متى أيها السادة ! ننتظركم تغيثوننا وتبلُّون غلّتنا ، وتشبعون جوعتنا ، وتنقذوننا من هذه البراثن الوحشية ، من براثن الجهالة ، من براثن عبادة النفس ، من براثن عبادة المادية ،،فهذا يطلب منكم ذلك الإيثار ، تلك التضحية ، ذلك الزهد ، ذلك الاستنكاف من الجري وراء المادية ، و وراء المظاهر كما فعل أسلافكم ، وفيكم كل أمل وفيكم كل صلاحية ، وإني أستميحكم العفو إذا كنت قد تعديت حدودي وتخطيت ، و إذا كانت صدرت مني كلمة لا تليق بفضلكم ، و لا تليق بحقّكم ، ولا تليق بكرامتكم ، ولا تليق بمنتكم علينا ، بتوجيهكم الدعوة لزيارة الجامعة ، وما أبصرنا بعيوننا -- ونحمد الله على ذلك -- من الإنجازات الكبيرة ومن البشائر العظيمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

☆☆☆

الحركة الإلحادية في العالم الإسلامي

للأستاذ الداعية أسرار عالم

تعريب : الأخ غطريف شهباز الندوي
باحث في قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية

من الواقع أن النهضة الجديدة للغرب كانت حصيلة مؤامرات يهودية متعددة الأشكال ، سرية خطيرة ، نعم ؛ لا ننكر ما تبعها من كشوف علمية واختراعات جدية هائلة في كل شعبة من شعب الحياة ، فإنها واقع لا يجحد ، لكن المكانة التي منحها التاريخ الأوربي الجديد ، تكاد تقوم كلياً على دعائم وجهود يهودية خالصة ، فقد غيروها من أساسها ، وصاغوها في شكل يفتخر به اليوم ، الجيل الأوربي الجديد عن اغترار منه ، مع أنه جاءت هذه اللفظة إلى حيز الوجود في منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت قبل ذلك غير معروفة لدى التاريخ الأوربي ، فقد استعملها أولاً مؤرخ من "سويسرا" ، وهو جيكب برك هارد (Jacob Burckhardt) في كتابه : (Die Kulter, Der Renaissance) والذي كتبه في ١٨٦٠م (١) .

والصحيح أن فكرة النهضة كانت جواً حدث بتآمر اليهود ، وكانت يعيشوا المنتشرة في سائر أقطار أوربة مراكز فكرية لهذه الفكرة

---

(١) ظهرت ترجمته الإنجليزية من لندن باسم (The Invilization of the Rennassance in Etaly) في سنة ١٨٧٨م ، وكان برك هارد متنفراً من الدين ، وقد أثرت أفكاره فيما بعد على "نطشى" تأثيراً قوياً ، فكان ذهناً وفكراً شبيهاً بتاكوئل (Tocqueuill) الماسوني الشهير .

(The Rennaissance) ، وتقف وراءها تجار يهود وجمعيات روحانية سرية ، أنشأتها اليهودية ، وكان يعمل لها عملاء مسيحيون الإباحيون الطبع القوضويو المنزع والأوباشون من الغريزة ، فبعد جهود جبارة تواصلت لقرنين قد نجحت اليهودية شيئاً فشيئاً في خلق جو عام يشترك فيه الجماهير في عدد ضخم بعد أن كان ضئيلاً ، وفعلوا لذلك أفعالاً ، ومنها أنهم حرضوا أناساً ، كانوا بطبيعتهم متحررين من كل قيود وضوابط الأخلاق ، ومنساقين وراء أهوائهم ، وطامحين فقط إلى قضاء شهواتهم بكل إسراف ، وبكل طريق ممكن ، فمدوا إليهم يد المعونة تحت ستار الفردية (Individualism) ، والحرية الفردية (Individual Freedom) ، وكان هؤلاء أول عنصر عميل لليهود في العالم المسيحي ، وما لبث اليهود أن سعوا لاستغلال الجو المتهيأ كأسلوب أنجح لمحاربة الأنظمة القائمة في العالم المسيحي ، في كل أشكالها ، والتي تمثلها الكنيسة بصفتها الهيئة المهيمنة فعلياً على جميع الحكومات المسيحية آنذاك ، فضربتها اليهودية أو لا ضربة مبرحة ، وأثارت الحكام والملوك والأمراء في أوربا على الكنيسة ، بحافز الاستقلال عنها ، ثم أثيرت التعصبات القومية والجنسية واللسانية ، وأثيرت لذلك شكوك وارتيابات في تصورات التوجيه والرسالة والآخرة ، مهما كانت في ضالتها و نحالتها ، و التي كانت مصدر قوة للكنيسة ، و نشرت ميول إباحية ، وفلسفات إغريقية ، بما فيها من آداب وفنون وتصورات أبيقورية ومشاتية ودهرية وطبيعية ، وعلى هذه الجهود الإباحية ، والبيئة التي ارتضت بها وقبلتها أطلق وصف "الإنسانية" ، كما قد مر ذكرها في الحلقة السالفة ، وعن هذه المساعي المذمومة ومكتسباتها الهادمة ، يقول مؤرخ أوربي : "إنه ما كان سقوط القسطنطينية ، واختراع الطباعة أو اكتشاف أمريكا سبباً أصلياً ، وعاملاً حقيقياً للنهضة الغربية الجديدة ، نعم هذه

كانت مراحلها بالطبع ، والواقع أن العامل الحقيقي لها كامن في المال ، في ظهور طبقة تاجرة ، قامت بإبداء ميول واتجاهات فردية في الأمور المعيشية ، و التي -- بدورها -- مهدت السبيل لنظريتي "الفردية والإنسانية" (١) ، إذن فمن هو هذه الطبقة التاجرة ، ولعل خير ما يتم عليها ما قال كاتب درامي إنجليزي شهير ، كان في القرن السادس عشر الميلادي ، وهو كرستوفر مارلو (Christopher Marlow) ، يقول في مسرحيته "يهودي مالطا" (The Jew of Malta) على لسان أحد شخوصها اليهودي يسمى "ببراباس" :

"In florence, Venica, Anto werp, London, Souille, Frankfurt, Lubeck, Moscow and where not, have I debts obeving in the barcoo.

نحن دائنون في فلورنس ، والبندقية والاينتورب ، ولندن ، وفرينكفرت ولوبك والموسكو ، وأي مكان خلامن قروضنا ، ففي بنوك كل هذه المدن تتواجد أموالنا في مقادير هائلة .

ومثل هذا الخيال أظهر شيلاك (Shylock) اليهودي ممثلاً في مسرحية تاجر البندقية الشهيرة في الآداب الإنجليزية ، لشكسبير ، ودراسة تاريخ اقتصاد تلك الأدوار تفيدنا عن كمية وضخامة دوائر وشبكات مالية يهودية حينئذ ، والتي كانت تسع وتغمر أوربا كلها (٢) ، وقد ذكرنا في كتابنا الوضع الاقتصادي والسياسي للعالم الإسلامي مقتبساً من كتاب يهودي سري رمزي : ص/١٥ ، مما ينم عن ارتباط هذه التجارات والاستثمارات

---

(١) يراجع لذلك إلى بئرس انسائيكلوفيديا ، بتهذيب كراستوفر كرك ، طبعة ٩٣١١ سنة ١٩٨٥م ، شكرة بلهام الكتبية : ص/١٤٦ .

(٢) هناك مراجع كثيرة لهذا التاريخ الاقتصادي و واحد منها (Medieual Trade and Finance) ، مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٩٧٣م .

"الوضح الاقتصادي والسياسي للعالم الإسلامي" مقتبساً من كتاب يهودي بالحركات اليهودية الدينية والروحانية وفاعلياتها ، ونذكر هنا ترجمتها ونحذف العبارة الإنجليزية لفرض الاختصار ، يقول مؤلف الكتاب : "هناك شواهد كثيرة على قيام دور ومحافل ماسونية في أوائل القرن السابع عشر الميلادي ، ورغم أنها لم تحصل على الشرعية حتى القرن الثامن عشر لدى الجهات الحكومية ، لكن من المعقول الاعتقاد بأنها كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثورات الدينية والثقافية والعلمية ، وتيارات الإباحية ، وميول الارتداد ، وثورات الفلاحين المتزامنة مع التحركات الإصلاحية ، ونزعات التغيير في الدين ، ومن البديهي كذلك أن الحركات الإنسانية والسياسية المتواجدة التي تريد أن يعترف بها وأن تقتحم النظام الرأسمالي ، كانت احتاجت إلى الاعتماد على أن تنسج حولها هالة القدمية ، لتغرى الناس إليها بحكم أن لديها أسراراً وغوامض قديمة متوارثة ، نسيها الآخرون ، ولعلها كانت احتاجت أيضاً إلى الاعتماد على العصبيات الخاصة المتواجدة حينئذ ، وعلى معلوماتها الحاصلة ، حتى تقر مكانتها في المجتمع (١) .

ومن المناسب هنا أن تفصل بعض التفصيل لمؤامرات يهودية كانت انفرادية من خارجها ، ومتناسقة مترابطة من الداخل ، ومن الممكن وضعها في ستة تيارات على الأقل ، وكانت سبباً أصيلاً لجميع ما جَدَّ ، وحدث ابتداءً من افتراق الكنيسة حتى العهد الحديث ، وهي كالتالي :

١- تيار ييشوا وهي التي أحيت العبرانية من جديد ، في ناحية ، وجاءت بعدد ضخم من المسيحيين في دائرة اليهودية ، وتحت تأثيرها من ناحية

---

(١) أسرار عالم : الوضع الاقتصادي والسياسي للعالم الإسلامي ، المجمع الفقهي الهندي بنيو دلهي .

أخرى ، وبلغ قمته حين أعلنت الكنيسة الإنجليزية (Anglican Church) في ١٩٩٢م إعلانها المشهور ، و الذي أعيد في سنة ١٩٩٣م من قبل الكنيسة الكاثوليك الرومانية ، والذي من جراءه جاءت المسيحية بقرب من اليهودية لدرجة أن المسيحيين اضطروا إلى ترك حيثية المسيح التقليدية ، واعتراف الحيثية الأخرى ، المخترعة له ، وهي التي أظهرتها قاموس آكسفورد في طبعته الجديدة لسنة ١٩٩٣م ، هكذا : (Jesus Chirist A Jawish Preaches) (عيسى المسيح كداعية يهودي) .

٢- حركات روحانية: بدأت من القديس برنارد في القرن الثاني عشر ، و ولدت في ألمانيا ماستر ايكارد (Master Eckhard) ، و جان تاولر (John Tawler) ، وأشخاصاً آخرين كثيرين في إطاليا وإنجلترا ، وظهرت إخوان الحياة العامة (Berthern of the common life) ، وأحدث كتاب تومس اكيمبس تأثيرات قوية في أوساط المجتمع الأوربي ، وعلاوة على ذلك نشروا شبكات سرية روحانية لا يكاد يأتي عليها الحصر، وقد تناولنا بعضها من قبل (١) .

٣- حركات ظهور المسيح : وهي كانت حركات يهودية خفية قامت بأعمال كبيرة لنيل الأهداف المنشودة ، في فترات ، قبل الحروب الصليبية وأثناءها وبعدها ، فقد كانت تقوم بتهييج مشاعر الناس وعواطف الجماهير في أوربا ضد الإسلام ، حتى آلت الحروب الصليبية إلى الفشل الذريع ، فوكلت إليها ما بعد الحروب الصليبية ، عملية كبيرة خاصة ، وهي توفير الطاقات المسيحية واستغلالها في صالح اليهود وصيانتهم ، ومن ضمن أعمالها يأتي تحطيم طبقات مسيحية تعاند اليهود ، ومن هنا كانت لها أيد قوية وخفية

---

(١) انظر : (G.R. Elton, Reformation Europe, 1517-1559 collins, The Fontara History of Europe, London~1970, pp.30.

في تهييج الجماهير ضد السلطة الرومانية المقدسة ، والذي انتهى بانهيار المسيحية وتوزعها شقوقاً وخروقاً في آخر الأمر ، فكانت حركة (The Flender) بين الأجراء والعاملين في الصناعات ، قامت في نيدرلندا ، وحركة فلندر (Flender) ، قامت في القرن الخامس عشر من الحركات الهدامة ، وقام المؤخر ذكرها منها بإباحية جنسية ، من الصعب اليوم تقدير عواقبها ومخلفاتها ، وكذلك تولدت في الألمانية طبقة خاصة ما يسمى في التاريخ بـ (Drammer of Niklas Hausan) ، وتسببت في نهاية الأمر لقيام ثورة بنديشوه (Bandechuh) ، كما كانت هناك مذاهب وحركات أخرى لا تكاد تحصى ، بعضها تغرى إلى "العام المقدس" وتعضها تنسب إلى "القصة المباركة" ، وبرزت منها نائت تمبلرس (Knight temlars) ، و روزي كروشين (Rosi crucians) ، و ألبنغ جينينس (Albingeninus) ، وميرو ونجيأنس (Merovingians) ، و سيانبرينس (Sicanbrians) ، وكيرولحسن ومنظمات أخرى غيرها كثيرة .

٤- تجار يهود : كانت الجهود المذكورة آنفاً تتم عن طريق تجار يهوديين ، واستخدموا طريقتين لذلك ، إحداهما : (Merchants Guilds) ، وثانيهما : (Crafts Guilds) ، ومن هاتين الجهتين توافرت الأموال بكثرة كاثرة في المجتمع كله في جانب ، ومن جانب آخر نسجت خيوط الدسيسة على كافة المستويات الشعبية ، طبقات الأمراء والملوك وطبقات الجماهير ، ومن جانب ثالث نشرت شبكات جاسوسية في العالم كله ، ومن جانب رابع تم إعداد أفراد وأشخاص ، وحمّلوا لقمع المسيحية والحط من شأنها وإزاحة أثرها ، وكانت النقابتان المذكورتان تسيران بانتظام وانضباط عظيمين ، مثل سائر المنظمات الخفية المعاصرة ، وخرّجتا أفراداً بعد إعطائهم تربية مركزة ، ثم هؤلاء - بدورهم - لعبوا دوراً مهماً في نسج المؤامرات اليهودية في العالم المسيحي ، وإيصالها إلى مرحلة النضج والاكتمال وإيتاء الثمرة .

وكانت النظم التعليمية في أوربا لذلك العهد في رقابة نظام الكنيسة ، الذي تعترف به سائر الحكومات وتتبعها ، فوضعت هذه المؤسسات التجارية نظاماً تعليمياً متوازياً ، والذي خرّج لها نوعين من الرجال : النوع الأول يتضمن افراداً مسيحيين ، يؤخذون كتلاميذ متمرنين مبتدئين ، وبعد التدريب المكثف يتم التحاقهم بالمنظمة باسم : "جرني مين" (Journymen) ، وهناك يقومون بواجباتهم ومسئولياتهم على المستوى الجماهيري ، وفي الطبقات المتوسطة ، وفي القسم الآخر يتم تدريب أفراد أكفاء ، تدريباً عالياً اختصاصياً ، ثم يُدخلون في المناصب الحكومية العليا ، وتتم نشاطاتهم في الدوائر الحكومية ، وهم الذين يعرفهم التاريخ باسم شرفاء ونبلاء مسيحيين (Knights) ، وكل منها قد استولى على الشعوب الغربية كلها ، وعلى كافة المستويات ، وعن طريق هؤلاء تأسست في الغرب جامعات جديدة ، انبثقت منها هذه التصورات الحضارية الحديثة للغرب ، وانتشرت وذاعت بطريق منظم .

٥- تيار الفوضوية : وهو وسيلة خاصة تم استخدامها لنشر الانحلال ، وإعطاء أفراد مولعين بالحرية المطلقة استحقاقَ التصرف والتمرد ، وأن يفعلوا ما شاءوا ، وأن ينشروا تيارات الإباحة كيفما اتفق لهم .

٦- وكذلك كانت تيارات الإنسانية طوفاناً عارماً وسيلاً متدفقاً ، ذهب بكل ما جاء في سبيله من عقيدة وتصورو أخلاق وقيمة اجتماعية ، كما قد ذكرناه بتفصيل يسير قبل ذلك ، و هذه التيارات المتلاحمة أحدثت جوّا حطم بناء المسيحية ، فتناثرت مثل الرمال في صحراء قاحلة ، و أشار إلى ذلك مؤرخ ، بقوله : "إن التصوف المسيحي و حركات ظهور المسيح مما هدد حكم الكنيسة الروحاني على قلوب الناس ، وعرضه للخطر الشديد ، و أفكار الإنسانية في المثقفين زلزلت أساس سلطة الكنيسة

واستناده" (١) .

وفي السطور الآتية بصدد استعراض الوضع الحقيقي للنهضة ، نستفيد استفادة أكثر من المعلومات التي وفرها لنا مؤرخ أمريكي "ول ديورانت" إذ كان من أكبر حماة النهضة في هذا القرن ، وقد قدم لها تحليلاً تاريخياً نادراً ، هناك فهرس طويل لأناس مثلوا دوراً كبيراً في تدعيم النهضة وتعزيز أقدامها ، يضم أكثر من ثلاثين اسماً ، ربما نوه بهم مؤرخو الغرب في الأربع مائة سنة الماضية ، وسرد الأستاذ أسرار عالم أسماءهم ، وكان من رواد النهضة "يتراركو" و "بوكاشيو" و "رينزوا" ، وأسرة الميديسية توفر لها الدعم المادي ، وكان مؤسسها "يتراركو" الذي اشتهر فيما بعد عند التاريخ ، باسم (Francisco Petranco) .

وقد وصف بأول إنسان جديد متطور (The first modern man) من قبل مؤرخ ومساعد لنزعة النهضة كبير رينان ، ولقبه "ول ديورانت" بأبي النهضة التربية (The father of Rennaissance) (٢) ، إذ قام بإذاعة ونشر الأفكار الإغريقية المشركة القديمة (٣) ، أما ثانيهم وهو "جيوفاني بوكاشيو" (Giovanni Boccacio) ، فكان يهودياً وليد الزنا (٤) ، واشتهر في المجتمع بعربدته وفحاشيته وهبوط أخلاقه (٥) ، كما أن كتاباته أيضاً مفعمة وملآنة بالفحشاء والإتجاهات الجنسية الخليعة ، وخاصة كتاباته التالية :

1- Ninfale Faisolano. 2- Fiammetta. 3- Decameron.

---

(١) دائرة المعارف للفلسفة ، مطبعة حرة شركة ميكميلين - نيويارك .

(٢) انظر : إي.رينان (Paris, Averroes et L'averroisme) : ص/٣٢٨ .

(٣) ول ديورانت : النهضة : ص/٩ .

(٤-٥) انظر : (E. Giovanni Boccaccio, London, Hutton) ، سنة ١٩١٠م ، ص/٣-٥ .

والمؤخر ذكره مما يعد من المعالم في طريق الحضارة الشهوانية ، وقد ذكر عشيقته (Maria Deaqnino) في رواية له سماها باسمها ، وسرد فيها اجتراءاته الجنسية الفاحشة بتفصيل بأسلوب ماجن داعر خليع .

وكان تكولادي رينزو ثالث ثلاثة ، وعرف في التاريخ بصفته المفكر التائه الحاقد (Wandring Scholar) ، وهذا المثلث كان له أثره البالغ في دمقرطة وتأنيس (Humanization) الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، فهدد سلطة البابا الرومانية ، وإطاح بسلطانه ، فهل كانت النهضة تياراً عاماً واسع الأطراف جارفاً لدرجة راجت وكبرت فيما بعد؟ وهل كانت حركة جماهيرية شعبية ، مترجمة عن نزعات عامة الناس ، أو كانت مؤامرة محضة ، استولت فكرتها بطرق خفية وتآمرية ، فصارت ذات اقتدار وسلطة وصيت ؟ يقول ول ديورانت في هذا الصدد إنها كانت فكرة أقلية وحركة أقلية ، ويضيف : "وحضارة إطاليا في عصر النهضة كانت لأشخاص معدودين ، وكانت ازدهرت بهم و لهم ؛ أما الجماهير فكان عملهم وأملهم هو حفر الأرض ، وحرث الحقول ، وجر الحافلات وحمل الاثقال فقط ، يبتدئ عملهم هذا قبل إسفار النهار ، وينتهي بعد غروب الشمس ، فأنى يتسع لهؤلآء البائسين في مسائهم أن يخوضوا في تلك التصورات و الأفكار التي لا تهم حياتهم ولا تحل مشاكلهم (١) .

والتجمع التجاري الأوربي ، والإيطالوي بخاصة يقود هذه الحركات ، وكان مشتملاً على تسعين في المائة من التجار اليهود (٢) ، وعملاؤه المنتمون إلى النقابات التجارية يشكلون لهم أكبر عامل مساعد لهم (٣) ، وكانت

---

(١) ول ديورانت : النهضة : ص/٥٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، باب (The Setting) : ص/٦٧-٦٩ .

(٣) نفس المصدر : باب (The Material Balis) : ص/٧٠-٧٣ .

تتولاها أيضاً أسرة ميديسي ، وبخاصة فرعها كوسيموميدسي ، والأسرة كانت سرية ، وتشغل الطبابة في ابتداء أمرها ، وهناك مؤشرات توصلنا إلى أنها كانت يهودية أصيلاً تخفى مكانتها هذه تحت مصالح لها ، وكان لها نفس الدرجة التي حصلت لأسرة نوبيل ، و راك فيلر في العهد المعاصر ، يقول ول ديورانت : تزامن عروج أسرة ميديسي لعهد تغلب فيه "الإنسانيون" على أذهان إطاليا كلها ، وحرفوا الدين و وجهوا وجهتها إلى الدنيا بدل الدين ، وانتهوا بحيلتهم المعاصرة المشدودة إلى شفا هار منهار من الأفكار الهدامة والفنون المعربدة (١) ، وكان كل أساطين "الإنسانية" أمثال جيان غلينزو و سكونتي ، وتكولادي تكولي و ليونارد وبروني ، وكارلو مرسوبيني و طيانزو مينتي أعضاء الشياطين لهذه الحلقة ، كما يقول ول ديورانت : باستثناء حلقه سلوتاري ، فإن جميع "الإنسانيين" كانت لهم انتماءات قوية إلى حلقة ميديسي ، يجمع بهم كلهم داركو سيمو في البلدة ، أو تستضيفهم داره في القرية ، وهؤلآء كانوا يقومون بهذه الحركة التنويرية في وقت تزامن عروج أسرة ميديسي ومؤسسها كوسمبو ، نعم كان له صديق يساويه في هذا الأمر ، وهو ايمبروجيو تراساري والذي كان قائداً عسكرياً ، وينتمي إلى الطريقة الكمالدولائيت أوردين ، وكان يعيش بقرب زاوية القديسة مارية ويغالي اينجالي في فلورنس (١) .

[للبحث صلة]

---

(١) المصدر نفسه : ص/٧٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص/٨٢ .

وصايا : للطلاب والطالبات

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامي" -الرياض

يهتم سلفنا بالعلم ومدارسته ، وتأديب الطالب ، وتهيئته لهذا المركب الصعب ، قبل أن يهتموا بتعليمه وتربيته ، مثلما يحرصون على تدريب الخيول وترويضها ، قبل دخولها المعركة ، لأن الطالب بدون الأدب لا يستطيع أن يأخذ العلم ، ولا أن ينفتح صدر المدرس لتعليمه .. فالعلم مركب صعب ، لا ينهيأ إلا لمن أراد الله له ذلك ، بعد تذليل وحسن قيادة للنفس .

ولذا روي عن بعض السلف ، وذلك من تقديره للمعلم ، قوله : من علمني حرفاً كنت له عبداً .. ومع هذا فإن المعلمين يقدّرون الطالب الجاد ، ذا الخلق الحسن والسمت والوقار ، لأن هذه الصفات من أردية العلم فنراهم يأخذون بيده ، وينزلونه المكانة التي يستحقها ، ويشيدون به ، لما يترجّون منه من نفع وفائدة في مستقبل أيامه .

والشافعي رحمه الله على جلال قدره ، وعلوّ منزلته في العلم ، روي أنه عند ما ذهب للعراق لطلب العلم ، جلس في حلقه الحسن ، و كانت واسعة ، وعدد طلابها كثير ، فكان يكتب بيده في الأرض ، وقد لاحظ ذلك عليه بعض الطلبة ، فأشعروا الحسن ، وقالوا : إن الغلام الشامي يلهو ، ويعبث بأصبعه في الأرض ، وأنت تلقى الدرس ، فوضع عينه عليه ، وإذا هو كما قيل : فاستدعاه يوماً بعد ما ذهب الطلاب ليعاتبه ، وقال : إن حلقتنا تعتذرك ، وعليك أن تبحث عن غيرها ، قال : ولم ، يرحمك الله ؟ قال : لأنك لم تتأدب بآداب طالب العلم ، وراقبتك تعبث ، وهذا مجلس علم ،

يجب فيه الإنصات ، و حسن الأدب ، لأن لمجالس العلم آداباً ، لا يقربها من لم يحسنها ، ويتخلق بها .

فقال الشافعي : لم أكن عابثاً ، ولكنني من حرصي ، أكتب لكي أحفظ ، وقد وعيت كل ما قلته في الأيام الماضية ، بل حفظته ، فقال : اسمعني شيئاً من ذلك ؟ فأسمعه فإذا جميع ما ظهر من لسان شيخه ، مخزون في ذاكرته ، ولم ينس منه شيئاً ، فأعجب شيخه منه ذلك ، وكبر في عينه ، وقال : يا بني ! أنت مكانك هنا ، وليس في مؤخرة الصف الذي هو لصغار الطلاب والمبدئين ، ثم أجلسه في مقدمة الحلقة .

فالطالب والطالبة : يجب أن يتخلق كل منهما بأخلاق : الوقار وحسن السمت ، ولذا يقال : إن العلم لا يناله مستحٍ ولا متكبر ، وروي عن الشافعي رحمه الله ، قوله : لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه ببذل النفس ، وضيق العيش ، وخدمة العلماء أفلح .

أما الإمام مالك ، فيقول رحمه الله : لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضربه الفقر ، ويؤثر على كل شئ ، وأقوال العلماء في الصفات التي يجب أن يتحلّى بها طالب العلم في نفسه ، وفي تواضعه كجزء من الأدب مع العلم ، وتقدير الشيوخ كثيرة ، وكلها تحثّ النفوس البشرية على الاستصغار والتواضع في طلب العلم ، وعدم التّعالي ، لأن بالتواضع تنال المعرفة .

وقد حرص بعضهم على جمعها في نقاط ، ليسهل على طالب العلم أو طالبة إدراكها كمواد شبيهة بالمواد المقنّنة والمختصرة ، التي تسهل المقصد ، وترغّب في الاتجاه للعلماء ومزاحمتهم بالركب ، والتأدب في كل المواقف المعينة على الحصول منه بنصيب وافر : فهماً وحفظاً وإدراكاً ، ثم أثراً وتأثيراً وقدوة صالحة ، حيث تخرج ثمرة العلم ، وأبرزها صاحب تذكرة "السامع والمتكلّم ، في أدب المتعلم" في نفسه في عشر وصايا تعين طالب

العلم إذا حرص عليها ، على أن يهيئ نفسه بعد توفيق الله بأن يأخذ من العلم بنصيب جيد ينفعه في نفسه ، وتستفيد منه أمته ، وهي :

☆ الأولى : تطهير القلب عن خبث الصفات : وذلك بتنقيته عن كل غشّ ودنس ، وغل وحسد ، وسوء عقيدة وخلق ، ليصلح بذلك لقبول العلم ، وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه ، وحقائق غوامضه ، فإن العلم كما قال بعضهم : صلاة السرّ ، وعبادة القلب ، وقربة الباطن ، وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة ، إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث ، فكذلك لا يصح العلم ، الذي هو عبادة القلب ، إلا بطهارته عن خبث الصفات ، وحدث مساوئ الأخلاق و رديئها ، وإذا طيب القلب للعلم ، ظهرت بركته ونما ، كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا ، وفي الحديث : "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب" . [أخرجه البخاري ومسلم]

☆ الثانية : حسن النية في طلب العلم ، بأن يقصد به وجه الله تعالى ، والعمل به وإحياء الشريعة ، وتنوير قلبه ، وتحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعد الله لأهل العلم من رضوانه وعظيم فضله .

يروى عن أبي يوسف ، قوله : يا قوم ! أريدوا بعلمكم الله تعالى ، فإني لم أجلس مجلساً أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى اعلوهم ، و لم أجلس مجلساً قط ، أنوى فيه أن اعلوهم ، إلا لم أقم حتى افتضح .

والعلم عبادة من العبادات ، وقربة من القربات ، فإن خلصت فيه النية قبل وزكى ، ونمت بركته ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى ، حبط وضاع ، وخسرت صفقته ، و ربما تفوته تلك المقاصد ، و لا ينالها فيخيب قصده ، و يضيع سعيه .

☆ الثالثة : المبادرة إلى تحصيل العلم في أوقات الشباب : لأن الشباب هو

وقت فراغ الذهن ، وقوة الذاكرة ، والاستعداد للتحصيل ، وقديماً قيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، ولا يغتر الإنسان بخدع التسويف ، والتأميل ، فإن كل ساعة تمضى من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها ، وعليه أن يقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة ، والعوائق المانعة عن تمام الطلب ، وبذل الاجتهاد ، وقوة الجد في التحصيل ، فإنها كقواطع الطريق .

☆ الرابعة : القناعة بما يتيسر: وذلك بأن يقنع الطالب من القوت بما تيسر ، وإن كان قليلاً ، ومن اللباس بما يستر مثله ، وإن كان خلقاً ، فبالصبر على ضيق العيش ينال الإنسان العلم ، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال ، فيعينه الله حيث تتفجر فيه ينابيع العلم ، و تظهر عليه بوادر الحكمة ، وفي هذا يروى عن الشافعي رحمه الله ، قوله : لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس ، قيل : ولا الغنى المكفيّ ؟ قال : ولا الغنى المكفّى .

☆ الخامسة : تنظيم الأوقات للتعليم والتعلم ، وذلك بأن يحرص الطالب ، على أن يقسّم أوقات ليله ونهاره ، ويغتنم ما بقي من عمره ، فإن بقية العمر لا قيمة له ، وآخر العمر هو سن العجز والكبر ، ويحسن الاهتمام بما يلي :

= مراعاة أجود الأوقات للحفظ ، إذ من المعلوم بالتجربة أن الأسحار هي أجودها للحفظ ، وللبحث الإبكار ، وللكتابة وسَط النهار ، وللمطالعة والمذاكرة الليل .

يروي عن الخطيب البغدادي ، قوله : أجود الأوقات للحفظ : الأسحار، ثم وسط النهار ، ثم الغداة ، قال : وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، و وقت الجوع أنفع من وقت الشبع .

= الاهتمام بأماكن الحفظ ، قيل : إن أجود أماكن الحفظ الغرف ، وكل موضع بعيد عن الملهيات ، كما قيل : بأنه ليس بمجمود الحفظ بحضرة النبات و الخضرة ، والأنهار وقوارع الطرق ، وضجيج الأصوات ، لأنها تمنع

من خلو القلب غالباً .

☆ السادسة: أعظم الأسباب المعينة على العلم ، والاشتغال به ، والتركيز والفهم ، وعدم الملال : أكل القدر اليسير من الحلال ، قال الشافعي : "ما شبعت منذ ست عشرة سنة" ، وسبب ذلك أن كثرة الأكل ، جالب لكثرة الشرب ، وكثرته مما يملأ المعدة ، فتجلب هذه الحالة النوم للإنسان ، والبلادة للطالب ، مع قصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم ، هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية ، والتعرض لخطر الأسقام البدنية ، وفي الأثر : ما ملأ ابن آدم ، وعاء شر من بطن ، فإن كان لا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه ، وفي هذا قيل :

فإن الداء أكثر ما تراه ☆ يكون من الطعام أو الشراب

وكثرة الطعام آفات : إذ لم ير أحد من الأولياء والأئمة العلماء ، يوصف بكثرة الأكل ، ولا حُمِد به ، وإنما يحمد كثرة الأكل من الدواب ، التي لا تعقل ، بل هي مرصدة للعمل .

والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقير من طعام ، يؤول أمره إلى ما قد عُلِم ، ولم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب ، إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء ، لكان ينبغي للعاقل اللبيب ، أن يصون نفسه عنه ، ومن رام الفلاح في العلم ، وتحصيل البُغْية منه ، مع كثرة الأكل والشرب والنوم ، فقد رام مستحيلاً في العادة .

☆ السابعة : أن يأخذ الطالب نفسه بالورع في جميع شأنه ، ويتحرّى الحلال في طعامه وشرابه ، ولباسه ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه ، هو وعياله ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره ، والنفع به ، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحل شرعاً ، مهما أمكنه التورع ، ولم تلجئه حاجة ، أو يجعل حظه الجواز ، بل يطلب الرتبة العالية ، كما أن عليه أن يقتدي بمن سلف

من العلماء الصالحين ، في التورع عن كثير مما كانوا يفتون بجوازه ، وأحق من أُقتدِيَ به في ذلك ، سيدنا رسول الله ﷺ ، حيث لم يأكل الثمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة ، مع بُعْد كونها منها ، و لأن أهل العلم يقتدي بهم ، ويؤخذ عنهم ، فإذا لم يستعملوا الورع ، فمن يستعمله ؟؟

وينبغي لطالب العلم ، أن يستعمل المرخص في مواضعها ، عند الحاجة إليها ، و وجود سببها ، ليقتدي بهم فيه ، فإن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصة ، كما يحب أن تؤتى عزائمه .. [أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما]

☆ الثامنة :

أن يقلل المطاعم المضرّة : لأنها من أسباب البلادة ، وضعف الحواس كالتفاح والحامض ، والباقلاء وشرب الخل ، وكذلك ما يكثر استعماله ، وكذلك ما يُكْثِر استعمالُهُ البلغم المبلّد للذهن ، المثقل للبدن ، ككثرة الألبان ، والسمك وأشباه ذلك .

☆ التاسعة : تقليل النوم مهم لطالب العلم ، ما لم يلحقه ضرر في بدنه و ذهنه ، ولا يزيد في نومه في اليوم والليلة على ثمان ساعات ، وهي ثلث الزمان ، فإن احتمل حاله أقل من ذلك فعل .

ولا بأس أن يريح نفسه وقلبه وذهنه ، وبصره إذا أكل ، وذلك بتنزه في المتنزهات ، بحيث يعود إلى حاله ، ولا يضيع عليه زمانه ، ولا بأس بمعاناة المشي ، ورياضة البدن ، فقد قيل : إنه ينعش الحرارة ، ويذهب فضول الأخلاط ، وينشط البدن .

و بالجملة فلا بأس أن يريح نفسه إذا خاف مللاً ، و كان بعض الأكابر العلماء ، يجمع أصحابه في بعض أماكن التنزه ، في بعض أيام السنة ، ويتمازحون بما لا ضرر عليهم في دين ولا عرض .

☆ العاشرة : اختيار الرفيق في الطلب : فينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده ، أو يستفيد منه ، فإن شرع أو تعرض لصحبه من يضيّع عمره معه ، ولا يفيده ، ولا يستفيد منه ، ولا يعينه على ما هو بصدده ، فليتلطف في قطع عشرته ، من أول الأمر قبل أن تتمكن ، فإن الأمور إذا تمكنت ، عسرت إزالتها ، ومن الجاري على ألسنة الفقهاء : الدفع أسهل من الرفع .

والصديق أو الرفيق الذي يحتاج طالب العلم إلى صحبته ، يحسن أن تكون فيه الصفات التالية : الصحبة والدين والتقي والورع ، والذكاء وكثرة الخير ، وقلة الشر ، وحسن المداراة ، وقلة المماراة ، وممن يذكر عند النسيان ، ويعيد عند الذكر ، ويواسى عند الحاجة ، ويصبر عند الضجر ، والحكماء يحذّرون من صحبة الأحمق ، وقد قال فيه علي بن أبي طالب ﷺ :

فلا تصحب أخا الجهل ☆ وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ☆ حليماً حين واخاه
يقاس المرء بالمرء ☆ إذا ما هو ماشاه

وأهم من ذلك كله : الحرص على ترك المعاصي ، فإن العلم نور من الله ، ومن أقوى أسباب الأخذ تخلّق الطالب والطالبة بالأخلاق الحميدة ، والبعد عن معاصي الله ، والتزام طاعة الله في كل أمر .

☆ ورع العلماء : جاء في كتاب رياض النفوس : أن الفقير أبا علي الحسن بن نصر السوسي ، قد حدث ابنه محمد عن ورعه ، قال : كان أبي جالساً يوماً في المسجد ، وحوار طلبة العلم يحدثهم عن طيب الكسب ، وكانت زوجتي تسكن مع أبي في داره ، فقالت : لما كان يوم من الأيام بعد صلاة العصر والشيخ في المسجد ، قرع الباب علينا ، ففتحنا فإذا بثلاثة من الخدم على رؤوسهم طيافير (نوع من الأطباق مقطاة ، فقلنا لهم : ما هذا ؟ فذكروا

أن ذلك من عند رجل من الفقهاء بسوسه جليل القدر ، قال : فأخذنا الأطباق ، وتركناها على حالها مغطاة ، فقلنا لهم : ما هذا ؟ فذكروا أن ذلك من عند رجل من الفقهاء ، بسوسه جليل القدر ، قال : فأخذنا الأطباق وتركناها على حالها مغطاة ، حتى دخل الشيخ في المسجد وقت إفطاره ، فقدّمنا له فطوره الذي يفطر عليه ، ثم قدمنا له الأطباق ، وكشفناها له ، فإذا فيها أنواع من الحلوى : قباط وفالوذج ومشاش ، فقال : لزوجته : من أين هذا ؟ أليس قد قلت لك : لا تقبلي من أحد شيئاً ولا هدية ، ولا تأخذي إلا ما يأتي به عمرون ، فإنه بقطاعي يشتري ، فقالت له زوجته : وجّه به إليك فلان الفقيه ، فقال لها : فلان الفقيه ، متولى أحباس سوسه ؟ وإن كنت أعلم أنه من أهل الدين والفضل والعلم فأنا ممن لا آكل له طعاماً ، ولا لغيره ، وغضب على زوجته غضباً شديداً إذ عصبته ، وقبلت الهدية، فقالت له زوجته : فادفعها لولدك محمد ، يأكله هو وعياله ، فقال لها : سبحان الله ، وتستفتيني لمن أعطيه ، وتدخل عليّ الدواخل ، أنتِ أولى به وبحسابه غداً ، اعملي به ما شئت ، فأبت من ذلك زوجته ، وتورّعت ، وأخذتُ الأطباق بما فيها ، وجعلت من حملها لها ، ومضت بنفسها معها إلى دار الرجل ، واعتذرت له عن الشيخ ، فأخذها منها ، وغضب لذلك ، وقال لها : قولي للشيخ الحسن بن نصر : يا أبا علي ! أتعلم في أموالنا حراماً ؟ وغضب على الشيخ مدة ، ثمّ رجع إليه بعد ذلك ، وكانت وفاة الشيخ سنة إحدى وأربعين ، وثلاثمائة من الهجرة ، وكان الرجل الذي وجه إليه بالأطباق عبد الله بن حمّود السلمى . [٢/٣٩٥]

☆☆☆

الدعـوة الإسلامية :

تاريخ : نزول القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

ترجمة : الأستاذ محمد أسجد البستوي

القرآن كلام إلهي منزل من الله محفوظ في اللـوح المحفـوظ مـن الأزل ، كما يدل عليه القرآن نفسه : ﴿ بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ ، ثـم نزل من اللوح المحفوظ مرتـين : أولاً : أنـزل بأجمعـه علـى السـماء الأولى في بيت العزة ، ثم ظل ينزل على محمد رسول الله ﷺ نجماً نجماً وفـق الأحـوال والاقتضاءات ، حتى تمّ عمل النزول في ثلاثة وعشرين عاماً .

قد ورد في القرآن الكريم لفظان : الإنـزال ، التـنزيل ، الإنـزال يكـون دفعةً واحدةً ، والتنزيل يكون تدريجياً وجزءاً فجزءاً ، ففي ضوء هـذا الفـرق اللغوى نرى أن القرآن أطلق هذين اللفظين ، فحينمـا أخـبر بـنزول القـرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، استخدم لفظ : "الإنزال" ، كمـا قـال : "إنا أنزلناه في ليلة مباركة" لأن النزول إلى السماء الدنيـا كـان دفعـةً واحـدةً بكامل القرآن ، وحينما ذكر نزول القرآن من السماء الدنيـا علـى الرسـول الكريم ﷺ ، استخدم كلمة : "التنزيل" ، كما قـال : ﴿ وقرآنـاً فرقـناه لتقـرأه على الناس على مكث * ونزلناه تنزيلاً ﴾ لأن النزول على الرسـول الأعظـم ﷺ كان تدريجياً تمّ في بضعة وعشرين عاماً .

هذان النوعان لنزول القرآن ثابتان من القرآن وبيانـه بنفسـه ، ويتـأكد ذلك بما رواه كثير مـن أئمـة الحديـث وعلـى رأسـهم النسـائي والحـاكم والبيهقي وابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن عباس ﷺ ،

وتصـرّح هـذه الروايـات أيضـاً أن الـنزول الأول كـان دفعـةً واحـدةً لكـامل القرآن على السـماء الدنيـا ، أمـا الـنزول الثـاني : فقـد كـان تدريجيـاً علـى الرسول الكريم ﷺ . [الإتقان : ج/١ ، ص/٤١]

☆ النزول الأول : تصرح الروايات الواردة عن ابن عبـاس ﷺ بـأن الـنزول الأول ، إنما كان من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة علـى السـماء الأولى ، وهـو الذي يسمى بالبيت المعمور ، وذلك مكان عبادة الملائكة على السـماء فـوق كعبة الله ، ولكننا لا تعرف بدقة ، كيف تم هذا النزول ، ما هـي حكمتـه ، مـع أن بعض العلماء كالعلامة أبي شامة : أشاروا إلى حِكَم هذا النزول ، فقال : كان الهدف المنشود وراء هـذا الـنزول رفـع مكانـة القـرآن ، وإعـلان رفعتـه وتفخيم أمره وأمر مَن نزل عليه ليعلـم في السـماوات السـبع أن هـذا آخـر الكتـب المنزّلـة ، ويـنزل علـى خـاتم الرسـل لأشـرف الأمـم لهدايـة البشـرية وإسعادها وإنقاذها من براثن الكفر والجهالة العمياء .

[تاريخ القرآن وغرائب اسمه وحكمه -لطاهر الكردي : ص/٢٠]

وقـال الزرقـاني : أقـول : وفي تعـدد الـنزول وأماكنـه مـرة في اللـوح المحفوظ ، وأخرى في بيت العزة ، وثالثة على قلب النبي الكريـم ﷺ ، في ذلـك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمـان ، وبـاعث علـى الثقـة فيه لأن الكلام إذا سجّل في سجّلات متعددة وصحة له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه ، وأدعى إلى تسليم ثبوته ، وأدنى إلى وفـرة الإيقـان بـه مما لو سجّل في سجّل واحد ، أو كان له وجود واحد .

[مناهل العرفان : ج/١ ، ص/٤٦-٤٧ ، دار الفكر ، بيروت]

على كل : فمن في وسعه إحاطة حكم الله الحكيم ؟ وهـو أعلـم وأعـرف بحكمه وإسراره ونسنا في حاجة إلى البحث و الفحص عنها ، وما أخبرنا بـه هو أن هذا النزول كان في ليلة القدر فقط .

النزول الثاني : أجمع العلماء على أن النزول الثاني للقرآن كان منجّماً تدريجياً ، وقد ابتدأ حينما بلغ الرسول الكريم ﷺ أربعين عاماً من عمره ، وكان ابتداء هذا النزول في الأصح بين عديد من الأقوال في ليلة القدر أيضاً، وهو اليوم الذي وقعت فيه وقعة بدر الكبرى الحاسمة بعد أحد عشر عاماً ، كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ هناك ثلاثة أمور يذكرها القرآن الكريم بنفسه بصدد افتتاح نزول القرآن الكريم :

١- ابتداء النزول في شهر رمضان . ٢- افتتاح النزول في ليلة القدر .

٣- وكان يوم نزول القرآن الكريم ، هو اليوم الذي وقعت فيه وقعة بدر الكبرة بعد ستين .

ولكن لا نستطيع أن نعيّن اليوم الذي تشرف بليلة القدر في شهر رمضان المبارك ، فإن الروايات مختلفة في أيام ٢٧/١٩/١٧ من رمضان .

[جامع البيان -للطبري : ج/١٠ ، ص/٧]

☆ أول ما نزل من الآيات : ورد في ذلك عديد من الأقوال : القول الأصح ! أنه صدر سورة العلق ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري في صحيحه ، أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبد الليالي ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطّني ، حتى بلغ منّي الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، قال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني

الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زمّلوني زمّلوني ، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع .

[صحيح البخاري]

هذا أول ما نزل من الآيات على الرسول الكريم ﷺ ، فبعد ذلك انقطعت سلسلة الوحي إلى ثلاثة أعوام ، وهو زمن الفترة ، ثم بعد مضي ثلاثة أعوام تمثّل ذا الملك الذي جاء في حراء أمامه بين السماء والأرض ، وألقى عليه آيات من سورة المدّثر ، هذا كله موجود في جميع كتب الأحاديث الصحيحة ، وعلى رأسها الصحيحان البخاري ومسلم ، ولذا أجمع العلماء على أن أول ما نزل عليه ، هو صدر سورة العلق ، ثم نزل ثانياً بعض آيات سورة المدثر ، ولكن هناك ثلاثة أقوال أخرى في هذا الأمر نستعرضها موجزاً .

١- أول ما نزل إطلاقاً ، صدر سورة المدثر ، واجتمع أصحاب هذا القول بظاهر رواية جابر ﷺ ، رواها البخاري في كتاب التفسير ، وهي تدل على أن صدر سورة المدثر أول ما نزل على الرسول الكريم ﷺ ، فلذا قالوا بتقديم سورة المدثر على سورة العلق نزولاً ، و لكن الحافظ أزال هذا الوهم ، وقال بأن هذه الرواية ما وردت بكاملها في كتاب التفسير ، وفاتتها جملتان ، وروى البخاري هذا الحديث بنفسه بهذا السند للزهري في باب بدء الوحي ، ذكر جابر في ذلك الحديث قصة نزول سورة المدثر ، وروى عن الرسول الكريم ﷺ بأنه قال : فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على الكرسي ، فقد بان بهذا القول أن آيات سورة العلق كانت مقدمة النزول بالنسبة إلى سورة المدثر (١) ، نعم ! نقول بكل وضوح : إن أول ما نزل بعد

---

(١) فتح الباري : ج/١ ، ص/٢٣ ، من أراد التفصيل فليراجع فيض الباري : ج/١، ص/٢٥ ، والإتقان : ج/١ ، ص/٢٤-٢٥ .

زمن الفترة ، إنما هو صدر سورة المدثر ، فتحمل الروايات الدالة على تقدّم نزول صدر سورة المدثر على ما بعد زمن الفترة للوحي ، ويمكن أن يقال بأن أول سورة نزلت بكاملها ، إنما هي سورة المدثر ، فإن سورة العلق ما نزلت بكاملها دفعةً واحدةً .

٢- أول ما نزل سورة الفاتحة ، وقد استدل أصحاب الرأي بما رواه البيهقي في دلائل النبوة عن عمرو بن شرحبيل مرسلاً : أن رسول الله ﷺ ، قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت على نفسي أن يكون هذا أمراً ، قالت : معاذ الله ! ما كان الله ليفعل بك ، إنك لتؤدّي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له ، و قالت : اذهب مع محمد إلى الورقة ، فانطلقا فقصّا عليه ، فقال : لا تفعل ! إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه ! يا محمد ! قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، حتى بلغ ولا الضالين . [الإتقان : ج/١ ، ص/٢٥]

ففي ضوء هذه الرواية يقول الزمخشري : إن أول ما نزل سورة الفاتحة ، وجعله قول أكثر المفسرين (١) ، ولكن ابن حجر ردّ عليه أشدّ الردّ ، وقال : قال صاحب الكشاف : ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنها أول سورة نزلت ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب ، كذا قال : والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول ، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقبله إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى الأول (٢) ، أما حديث البيهقي المرسل الذي احتج به الزمخشري وغيره ، فكفى عنه ما ذكر البيهقي

(١) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل : ج/٤ ، ص/٧٧٥ .

(٢) فتح الباري : ج/٨ ، ص/٥٨٠ ، كتاب التفسير .

بنفسه ، إن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر (١) .

وأبدى العلامة الإمام أنور شاه الكشميري رأيه فقال : والجواب أن يلتزم بتعدد نزولها فلعلها نزلت أولاً بغير صفته القرآنية ، ونزلت أخرى بصفتها .

[فيض الباري : ج/١ ، ص/٢٥]

على كل ! فأجمعت الأحاديث الكثيرة سوى هذه الثلاثة على أن صدر سورة العلق أول ما نزل من القرآن وجمع السيوطي عديداً من الأحاديث المؤيّدة لهذا الرأي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن : ج/١ ، ص/٢٤" .

☆الآيات المكية والمدنية : الآيات المكية وفق مصطلح أكثر المفسرين ، هي التي نزلت قبل وصول الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة بعد الهجرة المباركة ، ويرى بعض العلماء أن المكي ما نزل في مكة المكرمة ، والمدني ما نزل في المدينة المنورة ، ولكن هذا الرأي ليس من الصواب في شئ عند أكثر المفسرين لأن عديداً من الآيات التي لم تنزل في مكة المكرمة تسمى بالمكية لنزولها قبل الهجرة النبوية ، فما نزل من القرآن في منى وعرفات وأثناء سفر الإسراء وسفر الهجرة يسمى بالآيات المكية ، وفي جانب آخر فهناك كثير من الآيات التي لم تنزل في المدينة المنورة ، ولكنها تسمى بالآيات المدنية ، ولذا كل ما نزل من القرآن بعد الهجرة في المدينة أو في الأسفار الطويلة البعيدة ، التي قام بها الرسول الكريم ﷺ على بعد مئات أميال حتى في مكة المكرمة بنفسها أو قربها بمناسبة فتح مكة أو الحديبية ، يسمى بالآيات المدنية (٢) ، كما نرى أن الآية القرآنية : ﴿ إن الله يأمركم أن تودّوا الأمانات إلى أهلها ﴾

(١) الإتقان : ج/١ ، ص/٢٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ج/١ ، ص/١٨٨ .

مدنية مع أن قد نزلت في مكة المركة بمناسبة فتح مكة في العام الثامن المجري .

[مناهل العرفان -للزرقاني : ج/١ ، ص/١٨٨]

فموجز القول أن هذا التقسيم للمكي والمدني ، وإن كان في بأدى الأمر حسب محال النزول وأمكنته ، ولكنه في الواقع وفق زمن النزول ، فما نزل قبل إتمام عمليات الهجرة ، يسمى مكياً ، وما نزل بعده يسمى مدنياً .

رغم أننا لا نجد ونرى أي حديث مرويّ عن رسول الله ﷺ يصرح بأن الرسول الكريم ﷺ عيّن السور والآيات ونوعها إلى المكية والمدنية ، ولكن الصحابة والتابعين الذين قضوا معظم حياتهم وأعمارهم لصيانة نظم القرآن ومعناه ومحتواه ، قد صرحوا بغاية من القوة والوضوح ، ما هي الآيات المكية ، وما هي المدنية ، بل عينوها وحددّوهافمثلاً : أخرج البخاري عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، و روي عن علي ﷺ قال : فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل .

[الإتقان : ج/١ ، ص/٩ ، و ج/٢ ، ص/١٨٧]

ففي معظم الأحوال أخبر الصحابة الكرام بتحديد الآيات المكية والمدنية ، ولكن مع ذلك توجد شواهد ودلائل أخرى في بعض الآيات والسور ، وهي تصرح بوضوح ، فالآيات التي وردت فيها قصة غزوة البدر ، مدنية لا محالة والآيات التي خوطب فيها مشركو مكة ، معظمها مكيّة ، ولذا يجعل مثل هذه الشواهد والأقيسة حجّةً في تعيين المكي والمدني، ولكن كما هو بيّن أن الأقيسة ربما تختلف وتتغير ولذا نرى اختلافاً بين المفسرين في تعيين بعض الآيات بأنه مكي أم مدني ، فبعض العلماء يقولون بأنه مكي ، والبعض يرون ضد ذلك .

و قد تكون السورة كلها مكية أو مدنية ، كما أن سورة المدثر كلها

مكية ، وسورة آل عمران كلها مدنية ، وقد تكون السورة مكية ما عدا آيات منها ، كما أن سورة الأعراف مكية ما عدا آية : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر .. إلى آية ﴾ ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم .. إلخ ﴾ وقد تكون السورة مدنية ما عدا آيات منها كما أن سورة الحج مدنية ما عدا أربع آيات منها تبتدئ بقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى "إلى قوله" عذاب يوم عقيم ﴾ .

فقد انكشف أنّ وصف السورة بأنها مكية أم مدنية يكون تبعا لما يغلب فيها من الآيات ، أو تبعاً لفاتحتها ، فإذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة كتبت مكية ، وإن كان بعض آياتها نزل بعد الهجرة النبوية .

[مناهل العرفان : ج/١ ، ص/١٩٢]

☆ ميزات و وجوه تختص بالمكي والمدني :

قد عُني علماء التفسير بتحديد السور المكية والمدنية ، واهتموا به أشد الاهتمام ، وذكروا ميزات للتمييز بينهما ، وهي تشير إلى كونها مكية أم مدنية في أغلب الأحوال ، وهناك ميزات و وجوه وضوابط كلية وأكثرية ، والضوابط الكلية فيما يلي :

١- كل سورة وردت فيها كلمة "كلا" مكية ، وهذه الكلمة وردت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورةً ، وهذه الآيات كلها في النصف الأخير من القرآن ، كما أنشد العلامة الديريني (رحمه الله) :

و مـا نزلت "كلا" بيثرب فاعلمن ☆ ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

٢- كل سورة فيها سجدة فهي مكية (هذه الضابطة تتفق مع مذهب الأحناف ، فإنهم يرون بأن لا سجدة في سورة الحج ، أما الشافعية فهم يرون بالسجدة فيها ، ويقولون : بأنها مدنية ، ولذا تحتص عندهم من هذا الضابط) (١) .

---

(١) في سورة الحج سجدتان ، أولاهما متفق عليها ، والثانية عند الشافعية فقط . [التحرير]

٣- كل سورة وردت فيها قصة سيدنا آدم مع إبليس الملعون ، فهي مكية ، ما عدا سورة البقرة .

٤- كل سورة جاء فيها الإذن للجهاد و الغزوة ، و كذا أحكام الجهاد ، فهي مدنية .

٥- كل ما جاء فيه ذكر المنافقين الأشرار فهو مدني ، واستثنى البعض سورة العنكبوت من هذا الضابط ، ولكن الأصوب المحقق هو أن سورة العنكبوت كلها مكية ما عدا الآيات التي ورد فيها ذكر المنافقين فإنها مدنية .

[مناهل العرفان : ج/١ ، ص/١٩١]

هذه ضوابط كلية ، وما سواها من الضوابط والوجوه والميزات ، فهي أكثرية تصدق غالباً ، ولكن أحياناً يقع خلاف ذلك أيضاً ، أما في معظم الأحوال ، فهي تطبق ، وهي كما يلي :

١- هناك فرق لفظي بيّن في الخطاب بين السور المكية والمدنية ، فأسلوب الخطاب في السور والآيات المكية فخاص بألفاظ : ﴿ يا أيها الناس ! ﴾ ، وأما الأسلوب في السور المدنية فخاص بألفاظ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! ﴾ .

٢- السور والآيات المكية ليست بطويلة بل هي مختصرة موجزة عامةً ، أما المدنية فهي طويلة ومفصلة جداً .

٣- ومن ميزات السور المكية أنها تشمل على بيان التوحيد والرسالة ، وإثبات الآخرة وتصوير يوم الحشر والنشر وتمثيله ، وتلقين الرسول الأعظم ﷺ بالصبر والتسلية ، وقصص الأمم السالفة الماضية ، وليست فيها التصريحات بالأحكام والدساتير ، مع أن السور المدنية تركز على الأحكام العائلية والحضارية ، وأحكام القتال والجهاد ، والحدود والفرائض وغيرها .

٤- نرى أن المواجهة في الآيات والسور المكية توجد للوثنين العابدين الأصنام عامة ، و جاء الرد عليهم كثيراً ، أما المدنية فهي تخاطب أهل

الكتاب ، وترد عليهم : "اليهود والنصارى ، والمنافقين الأشرار" .

٥- الأسلوب البياني فاخر جداً في السور المكية ، فهي تمتاز بالاستعارات والتشبيهات والتمثيلات الكثيرة المتوافرة ، وكذا تختص السور المكية بتوسعة نطاق الألفاظ والكلمات أيضاً ، أما السور المدنية فهي بأسلوب عذب له جرس وتأثير خاص بالنسبة إلى الأسلوب المكي المفخم القوي الفاخر البليغ .

وهذا الفرق بين الأسلوبين : إنما حدث باختلاف المخاطبين والأجواء والبيئات والأوضاع والموضوع ، فإن المسلمين حينما كانوا في مكة ، كانوا يواجهون الوثنيين ، ويتحملون منهم الأذى والجحود ، ولم تكن لهم دولة ولا نظام يحميهم ، وكان التركيز في هذا العهد على ترسيخ العقيدة ، وإصلاح الأخلاق ، والرد البليغ القاطع على الوثنيين وعباد الأصنام ، ويهتم ببيان إعجاز القرآن الكريم أشد الاهتمام ، ولكن لما تمت عمليات الهجرة المباركة ، وتكونت الحكومة الإسلامية العادلة الفذّة الأولى في المدينة المنورة تحت قيادة سيد الناس محمد بن عبد الله الأمين ﷺ ، والتف الناس حول الإسلام وتعاليم الرسالة ، وتهافتوا تهافت الفراش على النور والظمآن على الماء ، ورسخت عقيدتهم ونشأ مجتمع على تأسيس التعاليم الإسلامية السمحة بكل ثقة ويقين وعزم وحزم ، فقد بدا وشاع بطلان عبادة الأوثان والأصنام ، وابتدأت المجابهة العقلية والفكرية مع أهل الكتاب في المدينة وخارجها ، وجاء الأسلوب القرآني المدني وفق هذه الظروف والأوضاع مراعياً للحالة النفسية والذهنية ، واهتم بالرد على أهل الكتاب وتعليم الأحكام وتعليم الحدود والفرائض بغاية من العناية والقوة .

فكل من أولاه الله الحكيم العليم شيئاً من العقل السليم ، والفكر السديد ، والطبع العادل ، يكون على خبرة وبينة من هذا الاختلاف في أساليب القرآن

الكريم ومعانيه ومحتوياته في ضوء تدريج الأحوال البشرية بكل يسر وسهولة ، ولكن المستشرقين الحاقدين المعاندين الذين ما زالوا يموتون بغيظهم ، ويلهبون نار العداء والبغضاء والحقد فهم بذلوا أقصى المحاولات في عرض النتائج المخترعة الموضوعة الفاسدة بهذا الاختلاف البياني أيضاً ، ولذا قال بعضهم : إن القرآن (ونعوذ بالله ألف مرة) هو كلام الرسول بنفسه ، وليس بكلام الله عزّوجل ، ويستندون في هذا القول إلى زعمهم بأن اختلاف الأساليب حسب اختلاف الأوضاع والأجواء يدلِ على كونه كلاماً بشرياً بهذه الحقيقة ، وإلا فإنه إن كان كلام الله جلّ وعلا ، لما كان مرتبطاً بالأوضاع الزمنية ، وسار أسلوبه وبيانه على منوال واحد .

ولكن الذي رزقه الله شيئاً من العدل والعقل وسلامة الفكر ، وإصابة الرأي يشعر ببطلان هذا الرأي وسخفه و رداءته ، وقد أجمع أهل العلم والمعرفة قاطبةً على أن القرآن على قمة شامخة ومستوىً أرفع من البلاغة والفصاحة ، ولا يماثل فصاحته وبلاغته شئ آخر ، ولكن قد نسي هؤلاء المستشرقون المحتالون أن مطابقة الكلام لأحوال المخاطبين واقتضاء الظروف هو أساس البلاغة عند البلاغيين ، فالثبات على أسلوب واحد ، وطراز خاص في جميع الظروف والأجواء ، وأمام كل نوع من المخاطبين لأقوى برهان وأكبر دليل على الجهل الأعمى بالأصول البلاغية الأساسية ، وآداب الفصاحة المبدئية وعلى سوء الذوق والفهم .

ولا يمكن أن نرضى بمثل هذه الجهالة في كلام الله الذي لا مثيل له ولا شبيه به ، بل الواقع أنه لا يقوم بهذه الجراءة والوقاحة إلا من حلف وعزم على الطعن والرد والقدح ، وإن كان هذا الطعن يؤدي إلى أي عصيان وطغيان وإلحاد وبطلان (١) ، ونعوذ بالله من ذلك . [للحديث صلة]

---

(١) لسنا بحاجة إلى الرد العلمي على هذا الطعن الفاسد الضعيف ، ولكن من أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب الزرقاني : "مناهل العرفان" : ج/١ ، من ص/١٩٨ إلى ٢٣٢.

قضية تعليم المرأة المسلمة و واجباتها

إعداد : الأستاذ محمد صادق حسين
جامعة دار المعارف الإسلامية ، ثيتا غونغ ، بنغلاديش

☆ على المـــرأة :

بعد ما ذكرنا من تفاصيل القضية ، قضية تعليم المرأة في الإسلام ، ينبغي لنا أن نزيد عليها فصلين ، في أحدهما نتحدث عن ما يجب على المرأة بهذا الصدد ، لأن المرأة هي موضوع بحثنا هذا ، ورحى قضيتنا ، التي تدور حولها .

وفي الثاني نتحدث عن أهمية المسئوليات والواجبات التي تعود على المرأة في هذه القضية ، حيث يدرك المسئولون والمسئولات مدى أهمية القضية ، ويهتمون بها حق الاهتمام ، كلاهما طلب ، طلب التحقيق والتطبيق بما في القضية من الأوامر والنواهي الشرعية ، طلب الاهتمام والاعتناء بها ، وإلا فما الفائدة في نقل البيانات وسرد الأقوال والآراء ؟ إن لم تر ضوء التطبيق والتحقيق ، ولم يعتن بها مخاطبوها .

مما لا تشوبه شائبة أن الإسلام فرض على المرأة العلم ، وهذا الفرض يتناول أركان الإيمان ، ومعرفة التوحيد ، معرفة صحيحة سليمة من أي بدعة أو خرافة أو تعلق بغير الله سبحانه من حيث السؤال و الرغبة والطلب ، وأداء الفرائض الشرعية والواجبات الدينية ، ويتناول أيضاً معرفة ما تحتاج إليه للقيام بواجبها نحو زوجها وأسرتها ، ويتناول أيضاً ما يصلح قلبها من الآفات والأمراض (الحسد والغيبة والنميمة ..) وما يصلح قالبها وبدنها من طمع الأشرار وشياطين الإنس والجان ؛ فعليها أن تعرف

أحكام الزينة وستر العورة وشروط الحجاب الشرعي ، وأحكام النظر والاختلاط والخلوة وفقاً للثابت في كتاب الله ، وصحيح سنة رسول الله ﷺ .

وبعبارة موجزة : عليها أن تتعلم ما يلزمها في يومها وليلتها ، وما تكون به خالية عن الشرك والمعاصي ، والآفات والأمراض القلبية بمعرفة خطورتها وطريق الشفاء منها ، ولا يكون هذا إلا بالعلم والتعلم أولاً ، وقد شعرت النساء في قرن الإسلام الأول بحاجتهن إلى العلم ؛ فجئن إلى رسول الله ﷺ ، وطلبن منه مجلساً خاصاً بهن ، كما سبق ذكره .

فساهمت المرأة المسلمة في النهضة العلمية بكل شوق ورغبة وجدية ، ولم تدخر أي وسع إلا بذلته في الإحسان إلى النشاطات العلمية ، لم تزل ولا تزال نشاطاتها العلمية تتقدم وتزدهر ، بل تتطور عند الحاجة في كل عصر ومصر ، حتى نشأ تاريخ مستقل لأعلام النساء (١) ، وهذه النشاطات العلمية كلها تدور حول التقوى والامتثال بأوامر الله ونواهيه ، لذا كانت تحتوي على جميع مراحل الحياة ، وكان في حين من الزمن لا تودع العروس إلا ومعها بعض الكتب الشرعية النافعة ، فذكر -- مثلاً -- الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء : ٣٣/١٤" : أن كان في جهازها عند زفافها نسخة من كتاب "مختصر المزني" (٢) .

وهذا يدل على شغف النساء بحب العلم آنذاك ، وهذا يسجل للمرأة المسلمة مفخرةً عظيمةً ، اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء (٣) ؛ فإن

---

(١) مثلاً : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام -لعمر رضا كحالة ، ط/بيروت ١٩٩١م .

(٢) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/٥ وما بعده .

(٣) راجع : المصدر السابق : ص/٧

"غوستاف لوبون" ذكر أنه كثر في العهد العباسي في المشرق وفي ظل الأمويين في الأندلس النساء اللواتي اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية ، وعد ذلك "من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة حضارة العرب" .

[حضارة العرب : ص/٤٨٩]

فإنك أيتها المرأة ! قسيمة الرجل وشقيقته ، وعليك أن تؤدي دورك النسوي ، وقال رسول الله ﷺ في شأنك : "إن النساء شقائق الرجال" (١) وفسر الباحثون هذا القول النبوي بأمور يمكن إجمالها فيما يلي :

☆ أولاً : أنهن مثل الرجال في التحمل ، من حيث حرص الرسول الكريم ﷺ على تعليمهن وإسماعهن حديثه ؛ فهن معنيات بهذا الدين ، ومكلفات به من أول لحظة ، دعا فيها رسول الله ﷺ الناس .

ففي "سنن النسائي" عن أبي هريرة ﷺ ؛ قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [سورة الشعراء/٢١٤] ، قال : يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد المطلب ! لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ! لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ! لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ! سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً (٢) .

☆ ثانياً : بل قد تسبق المرأة الرجل في الالتزام ، وتفوقه في سعة العلم والاطلاع ، وتكون سبباً في إيقافه على الخير ، وتكون مرجعاً عند الخصام والاختلاف ، روى البخاري في "صحيحه" عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين ؛ أنا من الولدان ، وأمي من النساء (٣) كما ذكر قبل ذلك ؛ وكان ابن عباس رضي الله عنهما مع أمه

(١-٢) رواه النسائي في سننه : ٢٠٨/٦ .

(٣) صحيح البخاري : ١٨٠/٢-١٨١ .

من المستضعفين ، ولم يكن مع أبيه على دين قومه ، كذلك كانت بعض النساء سبباً في إسلام قومها (١) .

☆ ثالثاً : إن النساء يشاركن الرجال في تحقيق المسائل العلمية بالمناظرة والمحاورة فيما يلزم من معرفة لأحكام الدين والوقوف على سنة سيد المرسلين ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : ومن فوائد الحديث : المناظرة في العلم بين الرجال والنساء ، وقد استوضحت امرأة يقال لها (أم يعقوب) من ابن مسعود عن شئ ، سمعته على لسانه ، وحاورته وجادلته فيه ؛ حتى تبين لها الحق (٢) .

☆ رابعاً : إن النساء شقائق الرجال في تبليغ العلم ، وتعليم الكتابة ، ورواية الحديث وأدائه ، فضلاً عن تحمله وطلبه ودراسته ، وفي هذا يقول الإمام الشوكاني : "نيل الأوطار : ٢٢/٨" : لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة ؛ فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة ، و هذا لا ينكره من له أدنى نصيب ، من علم السنة (٣) .

كذلك تتحول المرأة شقيقة للرجل ومساعدة كبيرة له ، بل تكون ولية حميمة له ، كما عبر عنه القرآن الكريم : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. ﴾ [سورة التوبة/٧١] ، ولا يمكنها هذا إلا بالعلم ، لأنها لا تستطيع أن تساعد أخاها المؤمن إذا كانت لا تعلم ما هي الواجبات نحوها ؟ ولكل

---

(١) راجع : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٦ .

(٢) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٩ .

(٣) انظر : نفس العناية : ص/٢٠ .

من المرأة والرجل حق سواسي من العلم والمعرفة ، فمن كلمات الداعية السلفي عبد الحميد بن باديس في تعليم المرأة : "لماذا تعاقب المرأة بعلمها ؟ هل العلم ورد صفاء للرجال ومنهل كدر النساء ؟ هل له تأثير حسن على فكر الذكور ، قبيح على فكر الإناث ؟! (١) .

☆ نحو المرأة : إن قضية التربية والتعليم من أحرج القضيات شأناً وخطراً ، لأن الأطفال من الذكور والإناث ، سيكونون غداً حسبما تربوا وتعلموا اليوم ، شبراً بشبر ، لذا فإن الواجبات والأعباء والمسئوليات التي ألقيت من الخالق رب العالمين على كواهل الوالدين والمربيين نحو المرأة ثقيلة هامة ، كما افادنا علماء التربية والتعليم .

إذا ولد طفل بشري سواء كان من الذكور أو الأنوثة ، ولد ضعيفاً عاجزاً غير مزود بشئ من السلوك الغريزي إلا البكاء والحركة العشوائية وامتصاص الثدي .. ولكنه مجهز بأجهزة و وسائل مدهشة يمكنه إذا أسن تموينها وإعدادها لكي يتزود مع مرور الزمن وعلى المدى البعيد -- بكل ما يحتاج من الخبرات والقدرات -- هذا في ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أن البيئة بأوسع معانيها مستعدة للتأثر بكل عواملها (٢) .

لذلك قضية التعليم والتربية قضية شاقة حرجة ، لابد لها من العلم الغزير والفكر السليم الإيماني ، والكفاءة الربانية ، فالمرأة كمزرعة خالية ، كما تزرع تحصد ، بل إنها نصف الأمة ، وهي تلد لنا النصف الآخر ، فإنها أمة بأسرها ، فإذا صلحت ، صلحت الأمة الآتية ، من وجهة هذا النظر فإن المرأة أمانة عظيمة عند من يعتني بكفالتها ورعايتها ، من صباها إلى شبابها ،

---

(١) عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٦ .

(٢) انظر : أولادنا في ضوء التربية الإسلامية -لمحمد على قطب : ص/٥٣ .

أو إلى زواجها ، أو بعد الزواج ، بالخصوص في حياتها التعليمية ومراحلها التربوية ، وهو مسئول عن ذلك على التعبير النبوي : "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" (١) فبذلك تتزايد خطورة المسئوليات وأهمية الواجبات نحو المرأة .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه : "إحياء علوم الدين" : الصبي -- والمقصود هو كل طفل ذكراً كان أو أنثى -- أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُود الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عُود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له .

و قد قال الله عزّوجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! قو أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ [سورة التحريم/٦] ، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا ، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى ، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ولا يحبّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها ، إذا كبر فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره (٢)

كيف تؤدي هذه المسئوليات ، و هذه الواجبات نحو تربية المرأة وتعليمها ؛ هل هناك أشباه ونظائر في تعليم المرأة عبر التاريخ ؟ وماذا يقول الشارع والشريعة بهذا الصدد ؟ هذا ما حاولت الإجابة عن هذه السؤالات في الصفحات التالية .

---

(١) حديث ، رواه مسلم : ١٢٢/٢ ، والبخاري : ١٢٢/١ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٥٢/٣ .

ونقول هنا قول الأستاذ أبي عبيدة : فينبغي أن يعتني العلماء وأولياء الأمور بالنساء كما اعتني بهن رسول الله ﷺ والسلف الصالح ، فيأخذن العلم والرواية ، ويتحملن ذلك كالرجال ليكن هاديات مهتديات ، مفاتيح للخير ، ومغاليق للشر ، فما من طاعة تقوم بها على الوجه الصحيح إلا بالعلم ، والعلم من أفضل الطاعات على الإطلاق ، وهذا ما صرحت به امرأة عالمة وفقيهة زاهدة ، ألا وهي أم الدرداء ، فإنها قالت : لقد طلبت العبادة في كل شئ ، فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم .

فما أحوج نساء هذه الأيام لأمثالها من المربيات العالمات الفاضلات الزاهدات ؟ (١) .

ويقول الداعية ابن باديس ، ما نصه : إن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم ، هي جهالة عمياء ، وإن على أوليائهن المسئولين عنهن إثماً كبيراً فيما هن فيه ، وأن أهل العلم والإرث النبوي مسئولون عن الأمة ، رجالها ونسائها ، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حق النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال ، وفي يوم خاص بهن اقتداءً بالمعلم الأعظم ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام (٢) .

فعلى كل امرأة مسلمة صحيحة مسالمة أن تطلب علوم الدين خاصة وعلوم العصر النافعة عامة ، كما يجب على من يربيها ويتعهد بأمورها أن يتعاونها عليه ويكرس جهودهم المكنة في هذا المجال ، ورحم الله حافظاً حيث يقول :

من لي بتربية النساء فإنها ☆ في الشرق علة ذلك الإخفاق

---

(١) عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٣ .

(٢) نفس المصدر : ص/١٥ .

الأم مدرسة إذا أعددتهـــا ☆ أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهدها الحيا ☆ بالري أورق أيما إيـــراق
الأم أستـــاذ الأساتذة الألى ☆ شعلت مآثرهـا مدى الآفاق

إلى أن يقول :

ربو البنات علىٰ الفضيلة إنهـا ☆ في الموفقين لهن خـــير وثاق
وعليكم أن تستبين بنـــاتكم ☆ نور الهدي وعلى الحياء الباقي

وفقنا الله جميعـاً ، وأقول قولي هـذا : وأستغفر الله لي ولكـم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم . (ابن باديس)

☆ خاتمـــة : تجلى من هنا أن المرأة قد احتلت مكانتها اللائقة بها بعد سطوع شمس الإسلام عليها ، وسعدت في شريعته السمحاء بالحصول علـى الحقوق التـي استغلتها منهـا الأديـان الأخـرى ، وأسـاءت إليهـا في حقـوق التعايش والمعاشرة فضلاً عن حقوق التعليم والتربية ، فقال المـؤرخ أ. أبـرام (Abbott) عن إنجلترا قبل مجيئ الإسلام مباشرة : بالنسبة إلى تعليـم الرجـال ، ليس هناك اهتمام بتعليم النساء إلا اسمه .

أما الإسلام فهو لم يعط المرأة حقوقاً إنسانيةً فقط ، بـل أعطاهـا كـل مـا يرفع مكانتها فوق ما يتصور في شأنها قبل ذلك ، وما لم يمهد لها الطريق إليه حضارات اليوم إلى الآن .

إن العصر الراهن عصر العلم والفكـر ، عصـر التربيـة والتعليـم ، ولا يتميز الإنسان إلا بما أوتي من العلم ، وقد ظهر ظهور الشـمس أن الإسـلام قد حاز قصب السبق الأول في هذا المجال أيضاً ، حيـث يعطـى المـرأة حـق التعلم والتعليم ، بل يحث المسئولين عنها على ذلك ويجعله عملاً مـأجوراً ، كما افادتنا بذلك عدة أحاديث نبوية ، هذه نعمة عظيمة من الله عزّوجل على الأمة المحمدية ، ينبغي أن يغتنموها معرضين عن الإفراط والتفريط .

(والله ولي التوفيق)

نظام الأسرة في الإسلام وتحديات العصر الحاضر (*)
(النكاح والطلاق)

الأستاذ عتيق أحمد القاسمي
سكرتير مجمع الفقه الإسلامي (الهند) ، الأستاذ في كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة ندوة العلماء لكناؤ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسـلام علـى خـاتم النبيـين محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن من أهم فضائل الإسلام وميزاته البارزة قوانين الأسرة في الإسـلام مثل أحكام النكاح والطلاق والمواريث وحقوق الأولاد وغيرها ، فـإن أحكـام الإسـلام المتعلقة بنظـام الأسـرة في غايـة مـن الاعتـدال والدقـة والحكمـة والصراحة ، روعي في هذه الأحكام طبائع الناس ، وفطرهم وميولهم الخِلقية كما يتجلى أمام الدارسين لقوانين الأسرة في مختلـف الأديـان والشـعوب ، ولكن هذا النظام الأسرى الإسلامي قـد أثير ضـده شـبهات وافـتراءات في العصر الحاضر من المستشـرقين والمسـتغربين ، ونشـرت هـذه الشـبهات والافتراءات وتنشر مرة بعد مرة بوسائل الإعلام الحديثة حتى تأثر بهـا إخواننـا وأبناؤها من المسلمين ، خاصة الدارسـون في الجامعـات والمعـاهد العصريـة التـي تدرس فيها أحكام الإسلام نحو الأسرة من خلال منظار المستشرقين

(*) قدم هذا البحث في المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة) المنعقد في ٨-١١ ربيع الأول ١٤٢٠هـ ، ٢٢-٢٥/يونيو ١٩٩٩م .

الحاقدين على الإسلام لا بمنظار القرآن والسنة والفقه الإسلامي ، ولا بمنظار الحقيقة والواقع ، في هذا البحث الموجز أريد أن ألقى ضواءاً على محاسن نظام الأسرة في الإسلام وعلى الشبهات والافتراءات حوله -- وفقنا الله للدفاع عن الإسلام وإيضاح محاسنه -- لكن بحثي هذا يكون مقصوراً على النكاح والطلاق لقلة الوقت وتحديد صفحات البحث .

☆ أهمية النكاح : الزواج أو النكاح العماد الأول للأسرة ، فبالزواج تتكون الأسرة الإنسانية الصغيرة ، ثم تنمو وتكبر هذه الأسرة بالبنين والبنات والحفدة والحفيدات حتى تكون أسرة كبيرة ذات فروع وغصون ، وباجتماع الأسر المختلفة المتماسكة يتكون المجتمع الإنساني .

إن الإسلام قد حث على الزواج ورغب فيه ، ونهى عن التبتل والرهبانية ، فقال النبي الكريم ﷺ : يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (١) .

عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، و يقول تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة (٢) .

رسولنا خاتم النبيين رفع منزلة المرأة بقوله : الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٣) .

☆ مقاصد النكاح :

ليس الغرض من النكاح في الإسلام قضاء الوطر الجسي واستيفاء الشهوات والنزوات فقط ، بل مقصد النكاح أرقى وأرفع من هذا وتلك ، لهذا عده النبي الكريم ﷺ من سنن الأنبياء ، وقال : أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح (٤) .

النكاح في الإسلام له تقديس ديني يُحس فيه الإنسان ، أن النكاح رابطة مقدسة وعلاقة روحية ونفسية تعلو بها إنسانيته عن دركة الحيوانية ، وقد أوضح الله تعالى هذه الحقيقة بقوله : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها * وجعل بينكم مودةً ورحمةً ﴾ . [سورة الروم/٢١]

يقول الإمام السرخسي في كتابه : "المبسوط" : ليس المقصود بهذا العقد - عقد النكاح - قضاء الشهوة ، وإنما المقصود ما بيناه من أسباب المصلحة - التناسل وحفظ النوع الإنساني وغيرها - ولكن الله تعالى علق به قضاء الشهوة ليرغب فيه المطيع العاصي ، المطيع للمعاني الدينية والعاصي لقضاء الشهوة ، بمنزلة الإمارة ففيها قضاء شهوة الجاه والنفوس ترغب فيها لهذا المعنى ، حتى تطلب ببذل النفوس وجرّ العساكر ، ولكن ليس المقصود بها في الشرع قضاء شهوة الجاه بل المقصود إظهار الحق والعدل (٥) .

يقول الإمام الغزالي موضحاً بعض فوائد النكاح في كتابه : "إحياء علوم الدين" : فيه إراحة للقلب وتقوية على العبادة ، فإن النفس ملول وهي من الحق نفور لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثارت ، فإذا روحت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت ، وفي الاستيناس بالنساء من الراحة ما يزيل الكرب ويروح عن القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، قال الله تعالى في شأن الزوجة : ﴿ ليسكن إليها ﴾ (٦) .

☆ بعض أحكام النكاح :

الإسلام يريد أن يكون النكاح قوياً مستمراً يبقى إلى بقاء الزوجين ، ولا يكون متعة جنسةً موقتة يزول بأدنى سبب ، لهذا أمر الزوجين بحسن المعاشرة والتعايش السلمي ، وأن يتعاون كل منهما مع الآخر في أداء وظائف الزوجية وتحمل أعباء الحياة ، قال الله تعالى : ﴿ و عاشروهن بالمعروف *

فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً * ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ .
[سورة النساء/١٩]

وقال النبي الكريم ﷺ لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر (٧) .

قال النبي الكريم ﷺ : خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي (٨) ، كما أن الإسلام أمر الزوج بحسن المعاشرة مع الزوجة وأداء حقوقها هكذا أمر الزوجة وأوصاها بحسن طاعة الزوج و رغب فيها ، فقال النبي الكريم ﷺ : أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة (٩) ، وأيضاً قال : لو كنت آمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهن من الحق (١٠) .

الإسلام راعى العدل في تحديد فرائض الزوجين وحقوقهما ، وراعى جانب المرأة في كثير من الأحكام لأن المرأة الفريق الضعيف في عقد الزواج ، و أوصى النبي الكريم ﷺ الرجال بحسن المعاشرة مع النساء ، وقال : استوصوا بالنساء خيراً (١١) .

☆ معوقات في سبيل النكاح :

الأسرة كانت سعيدة في البيئات الإسلامية بالعمل بتعاليم الإسلام نحو الزواج والعلاقات الزوجية والعائلية ، لكن الحياة الزوجية في البلاد الإسلامية تضعف يوماً فيوماً بتأثير الحضارة الغربية وبترك العمل بتعاليم الإسلام نحو الأسرة .

عقد النكاح سهل ميسور ، رخيص في ضوء تعاليم الإسلام ، كما قال النبي الكريم ﷺ : أعظم النكاح بركة أيسرة مؤنة (١٢) ، لكن المسلمين جعلوه صعباً غالياً وباهظاً بالمغالاة في المهور - كما هو الحال في بعض البلاد العربية - فإن أولياء المرأة يطالبون قدراً كبيراً من المال في المهر لا يقدر

الشباب على أدائه إلا بجهد بالغ أو يأخذ القرض من الحكومة أو المؤسسات الخيرية ، فيتأخر زواج الشباب والشابات إلى زمن بعيد ، ويكثر الفتن والفجور والفواحش في المجتمع ، ظاهرة المغالاة كانت شائعة في عهد الصحابة لهذا انتقد عليه خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ بقوله : ألا لا تغالوا بصداق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي الكريم ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية (١٣) .

في شبه القارة الهندية جرى العرف الفاسد بمطالبة أولياء الزوج أولياء الزوجة قدراً كبيراً من المال باسم "الجهيز" عند عقد النكاح بتأثير التقاليد الهندوكية ، هذا العرف الفاسد جعل النكاح مصيبة وبلية لأولياء البنات ، فمن كان له بنات يغرق في حزن وتفكر ، أين يجد القناطير المقنطرة لأداء "جهيز" البنات وتزويجهن ، وعادت تلك الحالة النفسية التي ذكرها القرآن الكريم في هذه الآية : ﴿ وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً * وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به ﴾ . [سورة النحل/٥٨-٥٩]

هذا العرف الفاسد صار حاجزاً كبيراً في إنكاح البنات ، كثير من البنات يبقين غير متزوجات وعانسات إلى زمن بعيد لعدم توافر "الجهيز" حتى تضطر بعض النسوة إلى الانتحار - أعاذنا الله من ذلك - العلماء المصلحون يبذلون جهودهم لإزالة هذا العرف الفاسد لكن المرض لما استحكم تصعب إزالته ، مثل هذه الاعراف والتقاليد الفاسدة جعلت عقد الزواج أمراً صعباً مشكلاً في كثير من البلاد الإسلامية والمجتمعات الإسلامية مع أن الإسلام جعل عقد النكاح سهلاً ميسوراً ، و وعد الله الغناء بالنكاح ، فقال : ﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * والله واسع عليم ﴾ . [سورة النور/٣٢]

وكل مجتمع يصعب فيه النكاح يسهل فيه الزنا ، فتشيع الفواحش ويفسد المجتمع .

☆ لابد لنا : لابد لنا أن نعيد نظام الأسرة في البلاد الإسلامية وفي المجتمعات الإسلامية إلى مجراه الطبيعي في ضوء القرآن والسنة ، والقانون الإسلامي العائلي ، ونحارب التقاليد والأعراف الأجنبية غير الإسلامية ، ولا يمكن هذا إلا بجهود متضافرة من الحكومات والمنظمات الإسلامية والعلماء والدعاة وعامة الناس .

☆ الطلاق : الطلاق في الشريعة الإسلامية معناه رفع قيد النكاح في الحال أو في المال بألفاظ مخصوصة والزواج عقد أبدي غير مؤقت لهذا لا ينعقد النكاح على وجه التوقيت ، والشريعة الإسلامية أرادت تقوية عقد الزواج وإحكامه بتشريعات وتوجيهات قبل إنشاء عقد الزواج وبعده ، ولكن الحقيقة أن بقاء عقد الزواج واستمراره متوقفان على المودة بين الزوجين والعلاقة الشخصية القوية بينهما والشريعة الإسلامية حريصة على بقاء هذه المودة والعلاقة القوية ، لهذا حثتهما على حسن المعاشرة والرفق والتآلف بينهما ، ثم بعد ظهور الخلاف بينهما دعت أولياءهما إلى التحكيم ، وقال : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما * فابعثوا حكماً من أهله * وحكماً من أهلها * إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما * إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ . [النساء/٣٥]

☆ الطلاق حاجة أكيدة :

ولكن كثيراً ما تطرأ في الحياة الواقعية أحوال تجعل الطلاق ضرورة لا مناص عنها ، وتجعله وسيلة لتخليص الأسرة من الخصامات المستمرة والعداوات المحرقة ، فإنه قد يبلغ الشقاق بين الزوجين إلى حد يصير الصلح مستحيلاً ، وتصبح الحياة الزوجية جحيماً لا تطاق ، فيكون جميع أفراد الأسرة في ضيق وعذاب باستمرار عقد النكاح .

وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر أو ينشأ في نفس أحدهما أو كليهما كراهية شديدة نحو الآخر ، يعجز كل الوسائل الإنسانية في إزالتها ، وقد تفسد أخلاق أحد الزوجين ، فلا يراعي لعقد الزواج عهداً وذمة ، وينغمس في الفسق والفجور ، ويصبح فضيحة لكل من يتصل به ، وتفشل وسائل التقويم عن رده إلى الصراط المستقيم .

وقد يجن أحد الزوجين جنوناً مطبقاً أو يبتلي بمرض خطير لا يمكن معه أداء وظيفة الزوجية ، ففي مثل هذه الحالات يصير الطلاق من أهم ضرورات الأسرة ، ويكون الإصرار على بقاء الزوجية ظلماً ظاهراً فالإسلام قد شرع الطلاق في مثل هذه الأحوال الاستثنائية .

☆ الطلاق و بلاد الغرب :

الطلاق لو كان في إطار الشريعة الإسلامية وحدودها كان نعمة كبرى على الإنسانية ورحمة خاصة بالمرأة ، والإسلام كان هدفاً لأعدائه منذ قرون بشرعه الطلاق ، فأعداء الإسلام من الغرب والشرق "شوهوا" نظام الطلاق الإسلامي تشويهاً كاملاً ، وصوروه كأنه ظلم عظيم على النسوة ، وإهدار لحقوقهن لكن في أقل من قرن اضطر كل قوانين العالم إلى تشريع الطلاق ، واعتباره مباحاً ، ليس قانون بلد من بلاد العالم إلا أنه أباح الطلاق في حالات مخصوصة ، كانت "إيطاليا" و "أسبانيا" أشد الدول تعصباً ضد تشريع الطلاق ، لكنهما رضختا لتشريع الطلاق في الثمانينات من هذا القرن ، وآخر البلاد التي أدرجت في قوانينها إباحة الطلاق "ايرلندا" التابعة لبريطانيا ، وإنها كانت أشد البلاد في منع الطلاق ، لكنها قبل عامين تقريباً عدلت في قانون الأحوال الشخصية ، وفتحت باب الطلاق بوضع قانون جديد وفرح به سكان هذه البلدة واعتبروه يوم عيد لهم .

يعترف العالم كله بضرورة الطلاق في حالات يصير بقاء الزوجية فيها

جحيماً و ويلاً للزوجين وأفراد العائلة ، لكن يثار هناك بحث ، هل من العدل تفويض أمور الطلاق إلى الزوج فقط مع أن النكاح أنشئ برضاء الزوجين ، وإرادتهما ، والكتاب المستشرقون وتلاميذهم يثيرون هذا السؤال مرة بعد مرة في كتاباتهم وأبحاثهم ، ويشنون الغارة على الإسلام بجعله أمر الطلاق بيد الرجل دون المرأة ، ويقولون : إن من العدل والحكمة أن تفوض أمور الطلاق إلى المحكمة القضائية ، لو لم يتفق الزوجان على الطلاق وفسخ النكاح ، أما استبداد الرجل بالطلاق ، كما هو في الشريعة الإسلامية ، فليس من العدل في شئ .

☆ من يملك الطلاق ؟

قد ناقش هذا السؤال كثير من الباحثين الإسلاميين ، وأحسنوا الرد عليه ودحضوا الشبهات المثارة حول موقف الإسلام من هذه القضية ، أنقل هنا ما كتبه البحاثة الأستاذ أبو زهرة حول هذا السؤال ، وقال : رحمه الله .

"لابد أن يكون الطلاق عند استحكام النفرة ، ولكن من الذي يملكه ؟ أيملكه القاضي ، أيملكه الزوجان مجتمعين ، أم يملكه أحدهما منفرداً ، الزوج أو الزوجة ؟ لا شك أن العقول تتفق على أن الزوجين إن ارتضيا الفراق يجب تقريره لأنه من المقرر أن كل عقد يتفق الطرفان فيه على انهائه يجب أن ينتهي ، ولأنهما لا يتفقان إلا حيث تتعذر الحياة الزوجية ، وإن كان ثمة ملاحظة ، فهي أنه يجب ألا يكون لنوبات الغضب الغارضة أثر في الحكم ، ولكن ذلك أمر نفسي لا يناط بأحكام القضاء ، وقد احتاط الإسلام لذلك .

بقى الأمران الآخران : وهما ملكية القضاء وحده للطلاق في غير حال اتفاقهما .

قد يقول قائل : إن الطريقة المثلى إذا كان الزوجان غير متفقين في أمر الطلاق أن يكون بيد القاضي ، وليس لأحدهما أن ينفرد به ، لأن القاضي

ناظر غير متحيز ، ولأن العقد الذي ينشئ حقوقاً لازمةً لا تبطله الإرادة المنفردة ، ولأنه لو جعل بيد أحدهما لانفصم العقد بنوبة غضب عارضة ، فإذا جاء الندم كان في غير وقته .

وإن لذلك القول مكاناً من الفكر ، وأخذت به شرائع ، ولكنه لا يستقيم إلا إذا كانت أمور النفوس وخفايا القلوب يمكن أن تثبت بالدليل الظاهري لأن القاضي لا يقضى إلا بما تثبته الأمارات والبينات ، ثم إن القضاء إنما ينظر فيما هو حق أو ظلم ليقر الحق ، ويمنع الظلم والمسألة في الحياة الزوجية ، ليست مسألة ظالم ومظلوم ، إنما هي صلاحيتها للبقاء ، بإمكان استمرار المودة أو عدم صلاحيتها ، فمثلاً إذا تقدم الزوج طالباً الطلاق لأنه أصبح يبغض زوجته ، وأن حبل المؤدة قد تقطع بينهما ، وأنه حاول إصلاح الأمر فلم يفلح ، أفيطلق القاضي أم لا يطلق ، لا شك أن الطلاق في هذا الحال أمر لابد منه ، ولكن ما الفرق بين إيقاع القاضي الطلاق وإيقاعه هو ؟

وإذا كان سبب الطلاق أمراً غير الحب والبغض ، فهل من المصلحة الاجتماعية أن تنشر دخائل الأسر في دور القضاء ، وتسجل في سجلاته ، ومنها ما لا يسوغ إعلانه ، وإن ما بين الزوجين أموراً يظلها الستر ، ولا يصح أن يكشفها الإعلان" (١٤) .

☆ نظام الأسرة في أوربا وأمريكا :

من المعلوم عند أهل العلم أن نظام الأسرة قضى عليه بالزوال في بلاد "أوربا" و "أمريكا" ,للحضارة الغربية السائدة في تلك البلاد ، فالأسرة صارت مفككة ومبعثرة فلا استقرار للحياة الزوجية ، و وهنت الصلات بين الزوج والزوجة والآباء والبنين وهنا شديداً ، وكثر الطلاق في تلك البلاد حتى صار النكاح أوهن من بيت العنكبوت يفسخ بأدنى سبب فلا قدسية

ولا استقرار لعقد الزواج في تلك البلاد ، وبلغت نسبة الطلاق من النكاح خمسون في المائة تقريباً .

الطلاق في بلاد أوربا وأمريكا في يد القاضي لا يستبد به الرجل ، ولكن مع ذلك تزداد نسبة الطلاق في هذه البلاد حتى إن علماء الاجتماع في حيرة وقلق من ظاهرة ازدياد الطلاق فيها لا يجدون حلاً لهذه المشكلة الاجتماعية ، وفشلت كل الجهود في هذا الميدان ، والحقيقة أن البلاد الغربية جنت على نفسها بالحضارة الغربية لأن الحضارة الغربية تشتمل على عناصر تفكيك الأسرة وتفتيتها .

الغربيون قد جنوا على البشرية وعلى المرأة خاصة بإخراج المرأة من ميدان عملها الفطري - البيت - إلى الميدان عملها الصناعي ، فالمرأة خرجت من بيتها تعمل وتتعب في المصانع والمكاتب ، والفنادق ، فصارت البيوت خالية من الأمهات والأخوات ، والأولاد حرموا من تربية الأمهات وشفقتهن ، يربون في الملاجي ودور الحضانة ، فما بقيت النسوة قانتات وحافظات للغيب ، وكثرت الفواحش والزنا ومقدماته لسفور المرأة واختلاطها من الرجال الأجانب ، وكثرة المغريات الجنسية في كل مكان .

إضافة إلى ظاهرة كثرة الطلاق في بلاد الغرب هناك ظاهرة أخرى أفسد وأهلك من تلك الظاهرة هي ظاهرة عدم الزواج في الفتيان والفتيات ، وإقامة العلاقات الجنسية بدون عقد الزواج ، فكثير من الشباب يظنون عقد الزواج عبئاً ثقيلاً لا يطاق فيتمتعون متعة جنسية بدون أن يتحملوا مسئوليات الزوج أو الأب ، هذه الظاهرة الفاسدة في بلاد الغرب زلزلت نظام الأسرة ، وأنشأت مشاكل اجتماعية معقدة عجزت عقولهم عن حلها .

☆ جناية الحضارة الغربية علينا :

إن الحضارة الغربية تهيمن على العالم كله حتى على البلاد الإسلامية

وبلاد الغرب تسعى في نشر حضارتها الفاسدة المريضة أكثر من سعيها في نشر علومها وتجرباتها الصناعية - وفي يدها وسائل الإعلام الحديثة - الجرائد ، الإذاعة ، السينما ، والفيديو ، وإنترنيت ، بها تنشر الغرب حضارتها من السفور والخلاعة واختلاط الرجال مع النساء ، والمناظر الجنسية الحيوانية ، فالعالم كله تأثر تأثراً عظيماً بالحضارة الغربية ، وهذه الحضارة أفسدت مجتمعنا وأثرت في عقولنا وأفهامنا حتى ضعفت الأسرة في بلادنا أيضاً وتزعزعت أركانها .

الحضارة الغربية التي قلدناها مع علاتها وأمراضها أفسدت مجتمعنا وزلزلت كيان أسرتنا وضعفت الحياة العائلية بتأثيرها ، ويزداد نسبة الطلاق في بلادنا ومجتمعنا يوماً فيوماً حسب تأثرهما بالحضارة الغربية ، يقول الدكتور نور الدين عتر حفظه الله بعد عرض إحصائيات الطلاق في مختلف بلاد "سوريا" : إن هذه الإحصائيات توضح لنا بجلاء أثر البيئة في وقوع الطلاق ، فالبيئة التي هي أكثر تعرضاً لتيارات الغزو غير الأخلاقي ، والتي تشيع فيها التقاليد الأجنبية أكثر تضعف فيها روابط الأسرة ، وتكون أكثر عرضاً للتفكك والضياع ، كما هو الحال في مدينة "دمشق" والبيئة التي يقل فيها ذلك التعرض للمفاسد الخلقية والمباذل ، تكون فيها الأسرة أشد تماسكاً و أقوى عروة ، كما هو ملاحظ في مدينة "حماة" ، ثم "حلب" (١٥) .

☆ خلاصة البحث :

خلاصة البحث أن نظام الأسرة الإسلامي في البلاد الإسلامية ، وفي المجتمعات الإسلامية في خطر شديد لعدم عمل المسلمين بتعاليم الإسلام نحو الأسرة ولتأثرهم بتقاليد أجنبية غير إسلامية خاصة لغزو الحضارة الغربية بخيلها ورجلها على البلاد الإسلامية ، فيجب على المسلمين أن

يتمسكوا بأحكام الله ورسوله في كل مجال من مجالات الحياة ، ويتصلبوا في هويتهم الدينية وحضارتهم الإسلامية ، ولا ينخدعوا ببريق الحضارة العربية ولمعانها .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب النكاح ، باب من لم يستطع الباءة فليصم ، الجامع الصحيح لمسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ج/٣ ، ص/٢٤٥ .

(٣) الجامع الصحيح لمسلم بن حجاج ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

(٤) جامع الترمذي ، أبواب انكاح عن رسول الله ﷺ ، الباب الأول .

(٥) المبسوط -للإمام السرخسي الحنفي : ج/٤ ، ص/١٩٤ ، طبع القاهرة ١٣٢٤هـ .

(٦) إحياء علوم الدين -للإمام الغزالي : ج/٢ ، ص/٣٠ ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة

(٧) الجامع الصحيح لمسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

(٨) سنن ابن ماجة ، أبواب النكاح ، باب حسن معاشرة النساء .

(٩) جامع الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء .

(١٠) سنن أبي داؤد ، كتاب النكاح ، باب في حق الزوج على المرأة .

(١١) سنن ابن ماجة ، أبواب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج .

(١٢) مسند أحمد بن حنبل : ج/٦ ، ص/٨٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت .

(١٣) سنن أبي داؤد ، كتاب النكاح ، باب الصداق .

(١٤) الأحوال الشخصية -للأستاذ أبي زهرة : ص/٢٨٢-٢٨٢ ، الطبعة الثالثة .

(١٥) ماذا عن المرأة -للدكتور نور الدين عتر : ص/١٦٢-١٦٣ .

نظرة الإسلام إلي المال

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

ينظر الإسلام إلى ما بين أيدي البشر من مال ، وما خفي عنهم على أنه ملك لله عزوجل لأنه جلّ شأنه مالك كل شئ في السماوات والأرض ، وما بينهما من صغير أو كبير سواء كان ذا قيمة مالية أو لم يكن له قيمة مالية ، قال تعالى في سورة المائدة/١٧ : ﴿ و لله ملك السماوات والأرض وما بينهما ﴾ وأنه جلّ شأنه يملك كل هذا وحده دون أن يكون له في ملكه شريك من البشر أو من غير البشر ، قال تعالى في سورة الإسراء/١١١ : ﴿ و لم يكن له شريك في الملك ﴾ ... (١) .

وإن مالكيه : إنما هم مستخلفون من قبل الله تبارك وتعالى على تدبير جمعه وإحسان إنفاقه ، قال تعالى في سورة الحديد/٧ : ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ وهذا يدل على أن ما في أيدي البشر من مال ليس بأموالهم في الحقيقة ، وإنما هم فيه بمنزلة النواب والوكلاء ... (٢) ، ويترتب على ذلك أنه لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يتصرف في جمع المال واستثماره وإنفاقه تبعاً لهواه أو لقوانين ودساتير تخالف ما شرعه لنا المولى عزّوجل في كتابه الكريم ، وسنة رسوله المصطفى ﷺ .

كما ينظر الإسلام إلى المال على أنه قوام للحياة حيث يتم به تبادل

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية -عبدالقادر عودة : ص/٣٦ .

(٢) دين ودولة -أحمد محمد جمال : ص/٣٣٣ .

المنافع والمصالح والخدمات والحاجيات ، قال تعالى في سورة النساء/٥ : ﴿ و لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ ... (١) ، ولذلك زين للناس حب المال والحرص على جمعه حتى ينشغلوا في طلبه وتثميره و تنميته ، وبالتالي تعمير الأرض ، قال تعالى في سورة آل عمران/١٤ : ﴿ زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث * ذلك متاع الحياة الدنيا * والله عنده حسن المآب ﴾ ، وقال تعالى في سورة الكهف/٤٦ : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ والمال ليس غاية في ذاته ، والمسلم إذا كان مكلفاً بطلب المال وتنميته ، فهو لا يطلب لذاته ، وإنما يطلب للاستعانة به على عبادة الله وذكره والتحدث بفضله ونعمه ، قال تعالى في سورة القصص/٧٧ : ﴿ و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ ، وقال عليه الصلاة والسلام : "نعم العون على تقوى الله المال" ، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير .

وحتى لا ينشغل الناس في جمع المال عن الغاية المطلوبة من جمعه لأن الرغبة في جمع المال ليس لها حد تنتهي إليه فالغني تواق إلى ازدياد الغنى والذي يمتلك عشرات الألوف يطمع في أن يمتلك مئات الألوف لأن المال كالبحر المالح ، كلما ازداد الفرد منه شراباً ، كلما ازداد عطشاً ، أو كما قال الرسول الكريم ﷺ : "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" متفق عليه من حديث ابن عباسٍ وأنس وعن أبي واقد الليثي ، قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا أوحي إليه أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه فجئناه ذات يوم فقال : "إن الله عزّوجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم واد

---

(١) الحل الإسلامي فريضة وضرورة -يوسف القرضاوي : ص/٦٧ .

من ذهب لأحب أن يكون له ثان ، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب" أخرجه أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح ، وإذا ما أرخى الإنسان لنفسه عنانها ، واعتقد الناس أن الغنى الحقيقي سبيله القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تهالكوا على المال ، وتهافتوا على جمعه ، فصارت الحياة مادية وضعفت القيم الخلقية ، واضطربت أحوال الجماعات ، وتفشى الشر وحرص كل فرد أن يحرز المال ، ولو من طريق غير مشروع فنجم عن ذلك كله أثره وشح وبعد عن البذل في سبيل الخير ، ولذلك قال تعالى محذراً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله * و من يفعل ذلك * فأولئك هم الخاسرون ﴾ [المنافقون/٩] ، و قال عليه الصلاة والسلام : "ليس الغنى من كثرة العرض ، إنما الغني غنى النفس" متفق عليه من حديث أبي هريرة ، والمراد بغنى النفس أن يقنع الإنسان بما رزقه الله ، ويرضى بما يكسبه من جهده وكده ، ويعرف أن سعادة النفس فوق كثرة المال فينظر إليه على أنه وسيلة لا غاية للوصول إلى مرضاة الله وعبادته ... (١) .

وقد تعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر الإنسان من حب الدنيا بوجه عام ، والمال بوجه خاص باعتباره أهم أركان الدنيا ، والتكالب والتصارع عليهما ، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم للآخرة ، بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم يبعثوا إلا لذلك ، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال : "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها" أخرجه الترمذي وحسنه وابن

---

(١) فتاوى الشيخ كشك "هموم المسلم اليومية" عبد الحميد كشك : ص/١٧٥ .

ماجة من حديث أبي هريرة ﷺ ، وقال أبو موسى الأشعري ، قال رسول الله ﷺ : "من أحب دنياه أضر آخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى" أخرجه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه ، وقال عليه الصلاة والسلام : "حب الدنيا رأس كل خطيئة" أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلاً .

وقال عيسى عليه السلام : "لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيداً كنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة" ، وقال ﷺ : "إن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له" أخرجه أحمد من حديث عائشة مقتصراً على هذا وعلى قوله : "ولها يجمع من لا عقل له" دون بقيته وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه : "ومال من لا مال له" و إسناده جيد ، وقال عيسى عليه السلام : "لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد" ، وقال ﷺ : "لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا" فنهى ذكرها فضلاً عن أصابه عينها والحديث السابق ، أخرجه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلاً ، و قيل لعيسى عليه السلام : علمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه ، قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى ، و أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسى ! لا تركنن إلى الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها.

قال علي بن أبي طالب ﷺ : من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، أولها من عرف الله وأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها ، وقال الحسن رحمه الله : من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره ، وقال لقمان لابنه : يا بني ! بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً ، وقال علي كرّم الله وجهه : الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما

تسخط الأخرى ، وقال الحسن : والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا ؟ وقال أيضاً : والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا ، وقال أيضاً بعد أن تلا قوله تعالى : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ [فاطر/٥] ، من قال ذا ؟ قاله من خلقها ومن هو أعلم بها ، إياكم وما شغل الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل ألا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب ، وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : الدنيا بلغ شئومها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله ، فكيف الوقوع فيها ، وقال علي كرّم الله وجه : إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فاشرف المطعومات العسل وهو مذقه ذباب ، وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير ، وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الفرس ، وعليه يقاتل الرجال ، وأشرف المنكوحات المرأة ، وهي مبال في مبال ، وإن المرأة لتزين أحسن شئ منها ، ويراد أقبح شئ منها ، وأشرف المشمومات المسك ، وهو دم ، وقال الحسن : والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله ، وقيل : أن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ، ثم وضعهما على جبهته ، ثم قبلهما ، وقال : من أحبكما فهو عبدي حقاً ... (١) .

والسعي للآخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة ، إنما يمد البصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في هذه الأرض ، هو الهدف والغاية كالذين لا ينطلقون إلى أبعد من هذه الأرض بوحلها ودنسها ورجسها ويستمتعون فيها كالأنعام ، ويستسلمون فيها للشهوات والنزوات ويرتكبون في سبيل تحقيق اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنم ، ومن أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها ، فإن الله يعجل له حظه في الدنيا حيث يشاء ، ومن أراد

---

(١) إحياء علوم الدين -أبي حامد محمد الغزالي : ج/٣ ، ص/١٩٠-١٩٨ .

الآخرة لابد أن يسعى لها سعيها ، فيؤدي تكاليفها وينهض بتبعياتها ، ويقيم سعيه فيها على الإيمان ، قال تعالى في سورة النازعات/٣٤-٤١ : ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما سعى * وبُرّزت الجحيم لمن يَرى * فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه * ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

وقد حدد الرسول الكريم ﷺ الرزق الحقيقي للفرد من كل ما جمعه من مال كثر أم قل ، قال ﷺ : "يقول العبد مالي مالي ، وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس" رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، وقال ﷺ : "رأيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" رواه البخاري والنسائي عن ابن مسعود ... (١) .

و لنتأمل حديثاً شريفاً سجله الطبراني ، فقد روي عن ثوبان ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله ! ما يكفيني من الدنيا ؟ قال المصطفى ﷺ : "ما سد جوعتك و وارى عوراتك ، وإن كان لك بيت يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبخ" ، هنا يقول نبي الإسلام : يكفيك من الدنيا طعامك وشرابك ولباسك ، ولا بأس من امتلاكك بيتاً ، أما إن كانت لك دابة ، فهذا أمر يزيد عن الحاجة الضرورية للحياة ذلك أن بخ التي وصف بها الرسول الكريم ﷺ امتلاك الإنسان لدابة كلمة تقال عند مدح شئ فيه تزيد فوجئ به الإنسان ، وأراد الإعلان عن تعجبه له مع رضاه منه ، وقال المصطفى ﷺ : "كل شئ فضل عن ظل بيت ، وكسر خبز وثوب يوارى عورة ابن آدم ،

---

(١) مشكله الفقر وكيف عالجها الإسلام -يوسف القرضاوي : ص/١٢٠ .

فليس لابن آدم فيه حق" ... (١) .

وإن الإنسان سيستوفى رزقه الذي قضاه له الله في الدنيا كاملاً ، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : أيها الناس ! إن الغنى ليس عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس ، وإن الله يؤتي عبده ما كتب له من الرزق ، فاجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم ، رواه أبو يعلى سنده حسن ، وأوله متفق عليه ، وعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرزق ليطلب العبد ، كما يطلبه أجله ، رواه ابن حبان والبزار والطبراني ، ولفظه : إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : لو فر أحدكم من رزقه لأدركه ، كما يدركه الموت ، رواه الطبراني في الأوسط والصغير بسند حسن .. (٢) .

فمن أصبح معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ... (٣) ، أما من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه وفقراً لا يستغني أبداً ، وحرصاً لا يشبع أبداً .. (٤).

☆☆☆

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

---

(١) لا للفقر في ظل القرآن -أحمد سعيد : ص/١٥٨-١٥٩ .

(٢) مختصر الترغيب والترهيب -للحافظ ابن حجر العسقلاني : ص/١٤٩-١٥٠ .

(٣) إحياء علوم الدين -أبي حامد محمد الغزالي : ج/٤ ، ص/١٨٢ .

(٤) إحياء علوم الدين -أبي حامد محمد الغزالي : ص/٢٠٧ .

دراسات و أبحاث :

قضية النسخ في القرآن المجيد (×)

د/محمد إبراهيم النكلوي
عميد مركز الإمام ولي الله للبحوث الإسلامية والدعوة الدينية ، فلت ، مظفر نكر (الهند)

و قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان عن أبي أمامة بن سهل ، أن خالته قالت : لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم ، الشيخ والشيخة "إذا زنيا" فارجموهما البتّة بما قضيا من اللذة . [الإتقان : ج/٢ ، ص/٣٢-٣٣]

وقال : حدثنا حجاج عن أبي جريج ، أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس ، قالت : قرأ على أبي وهو ابن ثمانين سنة ، في مصحف عائشة رضي الله عنها : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي * يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ وعلى الذين يصلون الصفوف الأُول ، قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف .

عن أبي واقد الليثي ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناه فعلمنا مما أوحي إليه ، قال : فجئت ذات يوم فقال : إن الله يقول : "إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً لأحبّ أن يكون إليه الثاني ، ولو كان إليه الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب وَ يتوب الله على من تاب" .

عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ : إن الله أمرني أن أقرأ

(×) يُرجى مراجعة الحلقتين الأولى والثانية في العددين : ٥ و ٦ من المجلد/٤٤ .

عليك القرآن ، فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، ومن بقيتها : "لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً ، وإن سأل ثانياًفأعطيه ، أعطيه سأل ثالثاً ، و لا يملأ جوب ابن آدم إلا التراب ، و يتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره .

عن أبي موسى الأشعري ، قال نزلت سورة نحو براءة ، ثم رفعت وحفظ منها : إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ، ما نسيناها ، غير أني حفظت منها : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون ، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة .

عن عدي بن عدي قال ، قال عمر ﷺ كنا نقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم ، فإنه كفر بكم ، ثم قال لزيد بن ثابت : أكذلك ؟ قال : نعم .

عن المسور بن مخرمة قال ، قال عمر لعبد الرحمن بن عوف ، ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة ، فإنا لا نجدها ، قال أسقطت فيما أسقط من القرآن .

وقال : حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري ، قال لهم ذات يوم : أخبروني بآيتين في القرآن ، لم يكتبا في المصحف ، فلم يخبروه ، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك ، فقال ابن مسلمة : إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ألا أبشروا أنتم المفلحون ، والذين

آووهم ونصروهم ، وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم ، أولئك لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين ، جزاءاً بما كانوا يعملون .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال : قرأ رجلان سورة أقراهما رسول الله ﷺ فكانا يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له ، فقال : إنها مما نسخ ، فألهوا عنها .

وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قُتلوا وقنت يدعو على قاتليهم ، قال أنس ﷺ : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا .

وفي المستدرك عن حذيفة قال : ما تقرأون ربعها : يعني براءة .

ومما رفع رسمه من القرآن ، ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر ، وتسمى سورتي الخلع والحفد .[المصدر نفسه : ٢/٥٣-٥٥ ، طبع بيروت ١٩٨٧م]

وبما أننا لا نتوخى هنا إلا تقصي الحقائق وإماطة الغطاء عن وجوه الفساد والخطأ ، و وضع الأصبع على مواطن الفشل ومكامن الزلل كان يلزمنا أن نورد هنا نبذة يسيرة مقتبسة من خضم تلك المرويات ، وأمثال هذه الروايات هي التي قد تولدت منها الفكرتان ، نعني بهما فكرة نسخ القرآن حكماً ورسماً ، ونسخ القرآن رسماً دون الحكم ، ولكن هل هذه الروايات تصلح أن تتأسس عليها هاتان الفكرتان ؟ وفوق ذلك ، هل هذان القسمان من النسخ لهما وجود في التنزيل العزيز على المستوى الواقعي ؟ فالذي يظهر من الدراسة الموضوعية التحليلية لتلك المرويات وأمثالها هو أن هذه المرويات قد تسربت إلى نصوصها الأخطاء الفاحشة ، وإن كان بعضها جيداً من ناحية الإسناد والنقل ، وهذه الأخطاء ظاهرة في نصوصها ، واضحة في ألفاظها ، فإذا تناولناها بالنقد العلمي والتحليل الموضوعي يجب

علينا أن نقسمها إلى قسمين ، قسم وضعه الدجالون والمنافقون ، الذين كانوا قد خضعوا للإسلام جسداً ، ولم يخضعوا له قلباً ، وتحقق لديهم أن الإسلام لم يترك لأعدائه منزع ظفر ، ولاحظوا أن القرآن في غاية من العلو من أن ينال منه أحد ، وأبعد من أن تمسه يد التحريف والتدسيس ، فهم عند ما لم يتمكنوا من قهر سلطان المسلمين ، وخضد شوكتهم في مجال القتال وميدان الكفاح ، هرعوا إلى اختلاق الروايات الواهية وسبك عمولات كاسدة ، ونسبوها إلى الصحابة وثقات الأمة ، فطالما قد تداولها كثير من العلماء السذج بالنقل والرواية ، وتناقلتها ألسنتهم كأنها تعبر عن حقيقة صارخة .

وقسم آخر له صلة بالصحة والمام بالسداد ، ولكن الناس قد أخطأوا في فهم معانيها وتحديد مراداتها ، وبالتالي طرأ في فهمها أوجه من الفساد والخلل وتسرب إلى معانيها الزلل .

ولكان من حسن حظنا لو انتهى الأمر إلى هذا الحد ، ولكن الأمر قد استفحل وتفاقم وحدثت على أساس هذه الغلطات فكرات كانت في غاية من الخطأ والفساد ، وقد نالت رواجاً بين الأوساط العلمية على مر الأيام ، وقلما ظهر في أوساط العلماء من يتناول تلك الفكرات الخاطئة بالنقد الموضوعي والتحليل العلمي في ضوء الدراية العلمية والمناهج الأصولية .

والذي يجعلنا نرفض تلك الفكرات والآراء ينقسم إلى قسمين : الأول الدلائل الموضوعية الداخلية ، والثاني المنهجية العلمية .

أما القسم الأول يعني الدلائل الموضوعية ، فنقول : إن الذي يستفاد من تلك الروايات والآثار بغير لبس ما ، هو أن القرآن العظيم الذي نتلوه اليوم والذي لا تزال الأمة المرحومة تتدارسه وتتلوه منذ أول يوم نزوله إلى الأرض ، قد أنزله الله على رسوله ﷺ أكثر مما هو الآن بين الدفتين ، من حيث الكمية ، وقد أُخرج من داخله بعض الآيات والسور .

لا يعزبن عن البال أن الله عزّوجل هو الملك الحق المبين ، له ما أخذ وله ما أعطى ، يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب ، فلم يكن هناك أي مانع له تعالى من أن يذهب بالذي أوحى إلى نبيه محمد ﷺ كلاً أو جزءاً ، فمن الطبيعي أننا لا ننظر إلى هذه القضية من حيث إنها شئ لا يمكن وقوعه رأساً ، إنما ننظر إليها من حيث الواقع العملي ، أو بتعبير آخر ، هل القرآن العظيم قد سحب الله من نصوصه شيئاً أو نسخ شيئاً من آياته وسوره رسماً وحكماً أو رسماً دون الحكم ؟

فاستقراء الحقائق يجعلنا نستيقن أن هذا شئ لم يحدث عملياً قط ، لأن القرآن العظيم كتاب قد أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، له نظام داخلي يسري في جميع أجزائه بما فيها من الألفاظ والآيات والسور مسرى الروح في كائن حي ، أو مجرى الدم في جسم الإنسان ، وهذا الإحكام عبارة عن الترابط العضوي (Organic Coherence) ما يتماسك به آياته وسوره ، والذي درس القرآن دراسة فاحصة يشهد لهذه الحقيقة عفوياً ، وأكبر دليل على ذلك هو تدوين القرآن على غير ترتيبه النزولي ، ولو لم يكن هناك تماسك معنوي وترابط عضوي بين آياته وسوره لكان من الطبيعي أن يُرتب حسب نزوله ، ولكن لما كان القرآن بتمامه وحدة عضوية (Organically United) و في غاية من التناسق المعنوي ، قد اختير له هذا الترتيب ، وهذا التناسق الدقيق هو من أكبر الحواجز التي تمنع القرآن من أن يقع فريسة لمحاولات الدس والتصحيف من جهة أن يخرج من داخله شئ أو يدخل فيه شئ من الخارج ، أما إدخال شئ في آياته أو سُوَرِه فلا نجد أحداً في التاريخ قد ادعى لذلك ، إذ كان من المستحيل إبداع عبارة ما تشابه عبارة القرآن من الناحية اللسانية ، ولا يمكن أحداً في المستقبل حتى يوم القيامة أن يأتي بمثل هذا القرآن الكريم : ﴿ ولو كان بعضهم بعضاً ظهيراً .

ولكن إخراج شئ من داخله فقد ادعى كثير من أهل العلم أن هذا كائن في القرآن ، أساساً على تلكم المرويات ، وهذا شئ يرفضه تناسق القرآن المعنوي ؟ ومن الواضح الأوضح أن لا يستطيع أحد من الذين عرفوا القرآن عن كثب وتناولوه بدراسة عميقة واعية أن يسلّم ذلك ، فإنه إذا سلمه فسوف يلزم عليه أن يرفض فكرة الترابط الفكري والتناسق المعنوي في القرآن ، بينما فكرة الترابط شئ سوف لا يتجاسر أحد أي يرفضه حتى يعتبر القرآن كمجموعة أكداس قد تكوم بعضها على بعض ، بغير أن يكون هنا أي ترابط أو تناسق معنوي ، فإن من يحمل هذه الفكرة من الطبيعي أن يجوز عنده أن يخرج من القرآن شئ ، وهذا شئ قد رفضه القرآن نفسه ، حيث قال : ﴿ كتاب أحكمت آياته * ثم فصلت من لدُن حكيم خبير ﴾ فتحقق أن للقرآن نظاماً معنوياً رصيناً وترابطاً فكرياً متيناً لا يسمحان بطبيعتهما بإخراج شئ من داخله ، وإذا وقع الإخراج أو الإدخال فمن الطبيعي أن يتهدم هذا النظام المعنوي ، ويتقوض الترابط الفكري ، ويتهشم الإحكام الذي هو من أجلّ الخصائص القرآنية طبعاً ، ومن أكبر الحواجز المانعة من أن يقع التنزيل العزيز فريسة لمحاولات الدس والتصحيف ، وتنتشر الآيات والسور كما تنتشر اللآلي عند ما يتكسر السلك الذي ينظمها في العقد ، فهذا النظام المعنوي والترابط الفكري هما عبارتان عن خيط رصين ينظم آيات القرآن وسوره ، وحبل متين يربط لاحقه بسابقه ، وحدوث أدنى الفرق فيه يؤدي إلى تخلل خطير في هذا النظام الدقيق

وبعد هذا البيان الموجز لابد لنا هنا أن نتناول الروايات السابقة بالتحليل المعنوي ، ونسجل عليها ملاحظتنا .

☆ تعليقاتنا على الروايات السابقة :

أما الرواية الأولى التي أوردناها في هذا المقال ، انظروا (الحلقة الثانية) من (البعث الإسلامي ، العدد/٦، المجلد/٤٤) ، لا ريب إنها من وضع الوضاعين الحاقدين ، ونتاج جهود الكذابين ، ويبدو من إسناد الرواية إن الوضاعين قد كانوا في غاية من اللباقة والشطارة حيث قد عزوا هذه الأكذوبة إلى بعض أصحاب الرسول الكريم ﷺ ، وهكذا دسّوها على المسلمين .

☆ الرواية الثانية : أما الرواية الثانية فيستفاد منها بغير لبس ما ، أن سورة الأحزاب كانت تقرأ في عصر النبوة ما يقارب مأتي آية ، ولكن لما كتب عثمان المصاحف بقيت قدر ما هي الآن .

فنتساءل هنا بكل أدب واحترام ، ماذا حدث ببواقي الآيات من الأحزاب ؟ هل أخرجها عثمان ﷺ من القرآن ؟ فإن أخرجها من عند نفسه ، فكيف رضي بصنيعه هذا صحابة الرسول الكريم ﷺ الذين هم أصدق الناس قولاً وأكثرهم غيرة على الحق ، وقد ضحوا بفلذات أكبادهم لأجل القرآن الذي هو أساس الإيمان وقاعدة الإسلام ، و حوله يدور رحى النبوة المحمدية (على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية) وهل كان المصحف الأم الذي تولى إعداده زيد بن ثابت إبان خلافة الصديق ﷺ يشتمل على مأتي آية في سورة الأحزاب ؟ فإن كان الأمر كذا ، فلماذا كتب زيد بن ثابت مأتي آية في سورة الأحزاب إبان خلافة الصديق ، وأسقطها في خلافة عثمان ، عند ما أمره بإعداد نقول من المصحف الصديقي ، وهل كانت النقول العثمانية للقرآن تختلف كمّاً من المصحف الصديقي ؟ فلنترك هذا الأمر على القراء وأصحاب العلم ، حتى يصلوا إلى نتيجة حاسمة .

☆ الرواية الثالثة والرابعة : أما الرواية الثالثة والرابعة فنوجه إليهما نفس الأسئلة والاعتراضات ، وأما آية الرجم المزعومة فللقراء موعدنا للكلام حولها عند كلامنا حول النوع الثاني من المنسوخات القرآنية .

☆ الرواية الخامسة : أما الرواية الخامسة فمستفادها أن الآية القرآنية : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ فقد أسقطت منها فقرة (وعلى الذين يصلون الصفوف الأول) وقد تم إسقاطها إبان خلافة عثمان عند ما تولى هو إعداد نقول القرآن العظيم من المصحف الصديقي الأساسي .

فنلاحظ على هذه الرواية أن هذه الفقرة لم تكن من القرآن قط ، إنما هي من الوحي الرباني غير التنزيل العزيز ، وقد كتب بعض الصحابة هذه الجملة في مصاحفهم الذاتية بجانب الآية المذكورة على السبيل التذكاري أن الذين يصلون الصفوف الأول هم أيضاً مشاركون في صلاة الله ، وصلاة الملائكة ، فالذين انتسخوا القرآن من المصاحف كهكذا التبس عليهم الأمر ، وظنوا غير القرآن قرآناً ، وهكذا تسبب سوء تفاهم مَن بعدهم ، وبالتالي وقعوا في الخطأ الفاحش بشأن القرآن الكريم .

☆ الروايات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة : أما الروايات السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فتشتمل على عبارة تهدف إلى نصيحة المسلمين وتوعظهم ، وليست في الرواية أدنى إشارة إلى قرآنية هذه الجمل ، فمن المحقق أن الراوي قد اشتبه عليه الأمر بلفظ : "إذا أوحى إليه" ، بينما كون بعض العبارة من الوحي لا يستلزم أن يكون من الوحي القرآني ، فإنه قد أوحى الله سبحانه إليه ﷺ غير القرآن أيضاً ، والوجه الثاني : أن من أبده البديهيات أن النسخ لا مساغ له إلا إلى الأحكام ، بينما هذه العبارة لا تشتمل على أمر أو نهي ، فكيف النسخ ؟

☆ الرواية العاشرة : أما الرواية العاشرة فمستفادها النهي عن الرغبة عن الآباء ، و وصفت الرغبة عن الآباء بأنها كفر ، وهذا شئ لا ينسخ أبداً ، ولكن هذا الأمر ليس الأمر القرآني ، إنما هو من صاحب الرسالة ﷺ ، وقد التبس الأمر على الراوي ، فاستخدم تعبيراً غير واضح وتسبب هكذا في وقوع الناس في الغلط ، وهذا يجعلنا نستيقن أن الراوي ليس في مأمن من الخطأ ، واستخدام التعبير الخاطئ .

☆ الرواية الحادية عشرة : أما الرواية الحادية عشرة فنوجه إليها نفس الاعتراض .

☆ الرواية الثانية عشرة : أما الرواية الثانية عشرة فمستفادها أن مسلمة ابن مخلد الأنصاري ، قد قرأ الآيتين اللتين لم تكتبا في المصحف ، فلنا حق هنا أن نتساءل لماذا لم يكتب كتاب الوحي وجامعو القرآن هاتين الآيتين في المصحف ، هل لم يكونوا يستشعرون مسئوليتهم الضخمة ؟ أو أهملوهما خيانةً ودجلاً ؟ و والله إن هذا شئ قد تفوه بما يماثله بعض غلاة الشيعة ، كما قد حاول بعض من المستشرقين إثبات التحريف في كتاب الله العزيز ، بناءً على أمثال تلكم الروايات ، أما النسخ فلا مساغ له إليهما رأساً لأنهما ليستا من باب الأحكام ، إنما هما من باب الأخبار ، وقد تقرر أن الأخبار لا تخضع للنسخ فتحقق أن غالبية العلماء قد وقعت في خطأٍ ذي أبعادٍ واسعة فيما يتصل بهاتين العبارتين .

وهناك سؤال هام غير هذا ، وهو أنه لما تحقق لمسلمة بن مخلد الأنصاري ، أن هذين الآيتين قد فاتهما المصحف الصديقي ، فكان من الواجب عليه أن يلفت أنظار المسئولين عن أمور المسلمين إلى هذا الأمر الهام ، فهل هو أدّى مسئوليته نحو القرآن باسترعاء انتباه الآمر إلى هذا الأمر الهام ؟ وهل إنّ هاتين العبارتين قد بقيتا خارجتين عن المصحف الأول منذ العهد الصديقي إلى عهد عثمان ؟

والواقع أن هذا الرواية مجعولة كما هو الظاهر من نصها ، و ستتجلى هذه الحقيقة الصارخة لكل من يتمعن في عبارتها من جميع أبعادها ، والذي يبدو هو أن هذه الجمل قد اختطفها جاعل كاذب من هنا وهناك من القرآن العظيم ، ثم حاول بكل شطارته إقناع الناس عليها بأنها من القرآن ، وقد تم إخراجها منه .

☆ الراوية الثالثة عشرة : وأما الرواية الثالثة عشرة فمستفادها أن رسول الله ﷺ قد أقرأ رجلين سورة ، فكانا يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة للصلاة ،

فلم يقدرا منها على حرف ، فأخبرا بهذا الأمر رسول الله ﷺ ، فأخبر النبي الكريم ﷺ الرجلين بأنهما قد نسختا فلا تلتفتا إليهما .

فنعلق سؤالاً هاماً على هذه الرواية ، هل نزلت على رسول الله ﷺ سورة قد أفرد بها رجلين دون سائر الناس ؟ بينما القرآن يقول : ﴿ يا أيها الرسول ! بلغ ما أنزل إليك من ربك * وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

[سورة المائدة]

غاية ما في الباب يمكن أن نقول : إن الرجلين المذكورين في الرواية قد اعتراهما أمر ، فعرضا حالهما عليه ﷺ ، فعلمهما دعاءً خاصاً حتى يستنجدا به من الله تعالى للتخلص من المشكلة ، فلما تم التخلص لهما من الأمر اعتراهما النسيان بصدد هذا الدعاء ، فرفعا هذا الأمر إليه ﷺ ، فأخبرهما بأنه لم يكن من الأمور الباقية ، ودليلنا على ذلك أن لو كان عامة المسلمين قد لقنهم رسول الله ﷺ إياه وأشركهم في تعليم هذا الدعاء أو شئ من القرآن لرفعوا هذا الأمر إليه ﷺ ، ونقل إلينا هذا منهم ، كما نقل عن الرجلين .

والواقع أن الذي أدّى إلى نشوء هذه الفكرة الخاطئة هو لفظ السورة التي استخدمها الراوي في هذه الرواية ، ليت هؤلآء الأعلام علموا أن لفظ السورة لا يراد به دائماً أن يكون سورة من القرآن الكريم .

☆ الرواية الرابعة عشرة : أما الرواية الرابعة عشرة فلا ريب أن هذه الرواية صحيحة ولكن الناس قد أخطأوا عند ما اعتبروا هذا النص جزءاً من القرآن ، فمستفاد الرواية أن رسول الله ﷺ قد أنزل الله عليه هذه العبارة في أصحاب بئر معونة الذين قتلوا في سبيل الله لإخبار ذويهم والمسلمين بما أنعم الله عليهم وغفر لهم وجعلهم من المكرمين ، ولا ريب أنها كانت وحياً من الله ، ولكن غير القرآن ، وهذا خطأ الراوي أنه عبر هذا الوحي "بقرآن قرأناه" ، ومن الحقيقة الصارخة أن الله قد أنزل على نبيه كثيراً من الوحي بجانب الوحي القرآني .

☆ الرواية الخامسة عشرة : أما مستفاد الرواية الخامسة عشرة فهو أن سورتي الحفد والخلع كانتا من القرآن فنقول : إن سورتي الخلع والحفد كلتيهما من وحي الله لفظاً ومعنىً ، ولكن هذا الوحي غير الوحي القرآني ، والذي قد تسبب في وقوع الناس في الخطأ هو لفظ : "السورة" .

لقد علقنا في السطور السالفة على ست عشرة رواية ، وقد أوردناها هنا حتى يتيسر لنا البحث ، والسير عليه في ضوء الواقع ، والكتب التي أعدت حول تاريخ المصاحف طافحة عن أمثال تلك المرويات ، وعليها المعول في تقرير القسمين الأولين من المنسوخات القرآنية ، ليت شعري لماذا أصر هؤلاء الأعلام على تأسيس هاتين الفكرتين الخاطئتين (نسخ القرآن حكماً ورسماً ، ونسخ القرآن رسماً دون الحكم) على أمثال تلك الروايات التي لا يثبت منها شئ ، فنحن على يقين تام أن تقرير هذين القسمين قد كان خطأً فاحشاً إلى أبعد الحدود ، والذي يورث الأسف البالغ هو أن هذا الخطأ قد بلغ ذروته على مر الأيام ، وظهر كفكرة علمية استرعت انتباه العلماء إليها ، واحتلت مكانة مرموقة في قضية النسخ ، ولم يعد بإمكان أحد من العلماء رفضها وتفنيدها في العصور التالية .

ربما يتضايق بهذه الملاحظات رجال يغلب عليهم الطابع الروائي المتطرف ويعتنون في الروايات بجانب إسنادها اعتناءاً مبالغاً ، ويتهافتون عليها صماً وعمياناً غير مغربلين نصوصها غربلةً دقيقةً ، وبغير انتقادها نقداً فنياً ، مستوفين جوانب البحث من جميع أبعاده الهامة ، طبقاً للشواهد القرآنية الداخلية ، و وفقاً للمنهجية الموضوعية الدقيقة ، مراعين جانب الدراية ، فتضايقهم هذا لا يضرنا شيئاً ، فنتركهم وشأنهم .

[للبحث صلة]

عرض و نقد لكتاب :

السنة و دورها : في الفقه الجديد

للأستاذ جمال البناء المصري

بقلم : الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي (*)

☆ تعريف بالمؤلف :

الأستاذ جمالِ البنّاء مفكر إسلامي معروف ، وهو شقيق الإمام الشهيد حسن البنّاء ، وابن المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنّاء الساعاتي صاحب : "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" ، حصل الأستاذ على شهادة التجارة المتوسطة ، وعلى الرغم من أنه قد عايَشَ حركة "الإخوان المسلمين" منذ بدايتها ، حيث نشأ مع مؤسسها في بيت واحد ، واحتفظ بوشائج القربى في هذه الحركة ، إلا أنه لم ينضم إليها بصورة رسمية .

وللأستاذ جمال البناء ميل خاص إلى دراسة الحركة العمالية ، والتنظيمات اليسارية في العالم ، وقدم أكثر من مائة كتاب ، أكثرها ترابط على قضايا العمل والعمال والنقابات المهنية ، وميله هذا - حسب رؤيته وتصريحاته - كان من المنطلقات القرآنية التي منها : "أن الجماهير هم أول من آمن بالأديان ، وهم الذين أطلق عليهم المشركون لفظ : "أراذلنا" ، هم الجمهور الذي يمثّله في صدر الدعوة سلمان وعمار وأبوذر وبلال ..

(*) دكتوراة في الحديث من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٩٢م ، وأستاذ الحديث المساعد في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، قدّم هذا العرض والنقد في مدارسة الكتاب التي أعدّها مركز البحوث بالجامعة في ١٩٩٩/٣/١٩م .

وغيرهم ، في حين تجهّم للإسلام كبار تجار قريش وأثرياؤها" ، فاتجاهه هذا كان ولا يزال من منطلق إسلامي ، وليس من منطلق يساري واشتراكي ، ورابط على هذا الركن بالأساس (وهو العمل النقابي والفكر العمالي) لأنه لا يجد في الساحة من يوليه الاهتمام الواجب ، وهو يمتلك واحدةً من أغنى مكتبات القاهرة (١) ، وغا إلى سعمي أنه وإحدى أخواته وقفاً جميع ممتلكاتهما على مؤسسة خيرية أسّسها ، تزوج ولم يخلف ، أو لم يتزوج ، وهو الآن في التاسعة والسبعين من عمره .

☆ الكتاب : "السنة ودورها في الفقه الجديد" :

هذا الكتاب يمثّل الجزء الثاني لسلسلة "نحو فقه جديد" ، وسبق أن صدر الجزء الأول لها تناول فيه الأستاذ "منطلقات ومفاهيم" ، وسوف تكمل هذه السلسلة بالجزء الثالث الذي سوف يتضمن "منطلقات ومفاهيم ومصادر الشريعة التي هي عند الأستاذ : العقل ، ومنظومة القيم الإسلامية ، والسنة - بالصورة التي عرضها في الجزء الثاني الذي نحن بصدد عرضه ونقده - ، والعرف" ، ويأمل الأستاذ جمال بكمال هذه السلسلة أن القارئ سوف يستطيع أن يجابه تحديات العصر ، ويقدّم الإجابات على مسائله دون ترخص أو تقوقع .

وهذا الجزء الثاني للكتاب المعنون بـ "السنة ودورها في الفقه الجديد" يتكون من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة .

☆ أهم أفكار الكتاب : والكتاب بجميع فصوله السبعة يُعتبر كتاب نقد أكثر من كتاب تصنيف وتحقيق ، و وجّه الأستاذ هذا النقد إلى عامة الفقهاء والمحدثين الذين حلا له أن يسميهم بـ "التقليديين" أو "السلفيين" ، ونحن في هذا العرض لا نستطيع أن نأتي على جميع أفكاره وانتقاداته ، ثم نبدي ملاحظاتنا عليها ، خاصة وأن الكتاب قد قام بمراجعته الأخ نعمان جغيم

طالب الدكتوراة في جامعتنا ، و وُفّق فيما تناوله من أفكار الكتاب بالنقد ، ونشرها في العدد الخامس لمجلة "التجديد" الصادرة من الجامعة ، ولا سيما أن معظم أو جميع انتقادات أو شبهات المؤلف في الكتاب ليست ذات صبغة أصيلة على الرغم من دعوى المؤلف بذلك ؛ لأنها إما مستقاة من الخوارج والشيعة والمعتزلة ، وإما مستعارة من القرآنيين وأصحاب اتجاه الاكتفاء بالقرآن ، وإما مستوردة من المستشرقين من أبناء اليهود والنصارى ، وقد فرغ علماؤنا رحمهم الله من مناقشتها وتفنيدها بما لا مزيد عليه أيضاً ، ولكننا مع ذلك كله سوف نختار من أفكاره وانتقاداته أو شبهاته ما أقام عليه المؤلف فكرته الأساسية التي هي "المعيار الوحيد لتصحيح الأحاديث وتضعيفها هو القرآن الكريم ، لا ضوابط المحدثين لتصحيح الأحاديث وتوثيق الرجال" ، فمن أفكاره وانتقاداته ما يلي :

أولاً : أكد المؤلف على أن "السنة" في الفقه السلفي تعني : "قول الرسول الكريم ﷺ وفعله وتقريره ، وحتى أقوال الصحابة وفتاوى التابعين أيضاً" ، مع أن معنى "السنة" في اللغة لا تعني إلا عملاً وفعلاً ، وبهذا المعنى فهمها الصحابة والخلفاء الراشدون ، واستشهد المؤلف على ذلك ببعض النقول من كتب اللغة .

قد غاب عن المؤلف أن "السنة" التي جعلها الرسول الكريم ﷺ ، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلماء الأصول رحمهم الله المصدر الثاني للتشريع والإرشاد والتوجيه والعلم والمعرفة ، هي ليست بمعناها اللغوي "العمل والفعل" ، وإنما هي "السنة" بمفهومها العام ، التي تشمل كل ما يفيد الحكم أو التوجيه أو العلم من أفعاله ﷺ وأقواله وتقريراته (٢) ، إذ لو لم تكن السنة عند الصحابة تشمل أقواله ﷺ وتقريراته أيضاً ، لَمَا كان لامتناعهم عن تأبير النخل إثر قوله ﷺ : "ما أظن يغني ذلك شيئاً" (٣) معنىً

أيما معنىً ، وكذلك لا يكون أي معنى لتعاطي الصحابة ببيع المضاربة في عصر النبي الكريم ﷺ (٤) ، ولعب الحبشة بالحراب في أيام العيد والنبي الكريم ﷺ ينظر إليهم (٥) ، هذا على وجه العموم ، وأما على وجه الخصوص فكيف رجع عمر بن الخطاب ﷺ من رأيه "لا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً" إلى قول الرسول الكريم ﷺ الذي أرسله مكتوباً إلى الضحاك ابن سفيان : "أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته" (٦) .

والأمر يطول إذا تقصينا شواهد لقبول الصحابة أقوال الرسول الكريم ﷺ وتقريراته ، وحتى المؤلف نفسه استدل أو استشهد بأكثر من ستين حديثاً كلها قولية ، والبعض منها يتعلق بنبوءات النبي الكريم ﷺ في المستقبل كحديث اندراس الإسلام مثل اندراس الثوب : ص/١٩٣ ، وكحديث "سيفشو الحديث عني فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله ... : ص/٩٥" على الرغم من أنه موضوع ، وكحديث "لتتبعن سنن الذين من قبلكم ... : ص/١٦" ، ومع ذلك كيف حصر المؤلف السنة بالفعل والعمل فحسب !!

ثانياً : اعتمد المؤلف على حديث النهي عن كتابة غير القرآن كثيراً ، واتخذه أساساً لنظريته الرامية إلى عدم تأبيد ما جاءت به السنة من أحكام وعبادات ، لأنها - حسب رؤيته - إذا سمح النبي الكريم ﷺ بكتابتها ستصبح ملزمة ومؤبدة ، ومن ثَمَّ لم يكن يتواءم مع حكمة إغفال القرآن لتفاصيل الكليات ، وترك تفصيلها وتحديد صورها إلى الرسول ، وستصبح خلاف صفة الرسول "رحمة للعالمين" .

هذا الحديث (أي حديث النهي عن كتابة غير القرآن) - كما ترون - حديث قولي ، وليس بحديث فعلي ، ومع ذلك بنى عليه المؤلف تلك الفكرة الشاذة ، وذلك ليبرِّر لتفلُّته من صور وأشكال الكليات التي حددتها

السنة ، فهو لا يريد أبدية كيفيات الصلاة وأذكارها ، وصور أداء الزكاة وأشكالها ، وهكذا العبادات الأخرى ، كما صرح بذلك في كتابه هذا ص/١٩٣ ، نتساءل : فإلى متى تبقى السنة الفعلية عاملةً إن لم تكن أبدية ؟ والنهي عن كتابة غير القرآن يشمل جميع دوائر السنة الثلاث : الحياتية والعبادية والسياسية (هذا تقسيم المؤلف) ، وقد أضيفتَ على "السياسية" منها صفة التأبيد؟؟!!

ثالثاً : حقَّق المؤلف أن ظاهرة الوضع في الحديث بدأت في الأيام الأولى للإسلام على أيدي المنافقين واليهود ، ونمت في أيام الأمويين والعباسيين على أيدي القصّاص و الصالحين و الفقهاء و السياسيين و الكائدين للإسلام ، واسترسل المؤلف قائلاً : حتى لم يجد الإمام البخاري أكثر من حديث واحد في كل مائتين من محفوظاته ، التي عددها ستمائة ألف حديث ، وذلك حسب معايير المحدثين ، وإذا طُبِّقَ معيارُه على أحاديث صحيح البخاري لتُستبعَد نصفُها .

أراد المؤلف من الأيام الأولى للإسلام أيام الرسول الكريم ﷺ كما تدل عليه تحليلاته في أكثر من موضع من الكتاب ، إن كان هذا التحقيق صحيحاً ، فأين كان دور السماء ، وهي لم تسكت على حادثة تزوير الوليد ابن عقبة ، وأنزَلت آية : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا ﴾ [الحجرات/٦] ؟! ولذلك أنكر الجميع ظهور الوضع في الحديث في عهد الرسول الكريم ﷺ ، بل ينكر العقل أيضاً ذلك ليبقى الإسلام تحت مراقبة السماء وهو لم يكمل بعد ، ويصان من عبث العابثين والرسول حي .

وأما الوضع في الحديث بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ فقد حصل ، ولكن بعد فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ ، لا قبلها (٧) ، لأن المدينة كانت قد خلت من اليهود والمنافقين ، ولم يكن من بين مواطني

المدينة ومكة من المسلمين من يتجرأ على الكذب في حديثه العادي مع الناس ، فضلاً عن الكذب في حديث الرسول الكريم ﷺ لقرب عهدهم به ، ولعدم وجود ما يدعوهم إلى الكذب ، كما يوضح ذلك أنس بن مالك ﷺ [ت ٩٠هـ أو ٩٢] ، يقول : "والله ما كنا نكذب ، ولا ندري ما الكذب" (٨) ، ويقول البراء بن عازب ﷺ [ت ٧٢هـ] : "ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله ﷺ ، كانت لنا ضَيعة وأشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ ، فيحدث الشاهد الغائب" (٩) .

وقد تصدّى علماء ذلك الوقت لمقاومة تلك الظاهرة السيئة بما وضعوا لذلك من قواعد وضوابط ، فأول ما عملوا للتغلب على هذه الظاهرة ، و وضْع الحد منها هو :

١- أن امتنعوا عن التحديث وقبول غير المعروف لديهم ، يقول ابن عباس ﷺ [ت ٦٨هـ] : "كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يُكذَب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه ، ولم نأخذ من الناس إلا ما نعرف" (١٠) .

٢- وتبينوا المعروف من غير المعروف ، تقول عائشة الصديقة رضي الله عنها [ت ٥٧هـ] : "يا أهل العراق ! أهل الشام خير منكم ، خرج إليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كثير ، فحدّثونا بما نعرف ، وخرج إليكم نفر قليل من أصحابه ، فحدثتمونا بما نعرف وبما لا نعرف" (١١) ، ويقول الزهري [ت ١٢٤] : "لو لا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبتُ حديثاً ، ولا أذنت في كتابه" (١٢) .

٣- و أن سألوا عن الإسناد ، يقول ابن سيرين [ت ١١٠هـ] : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سمُّوا لنا رجالكم ؛ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، و ينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ

حديثهم" (١٣) .

٤- وأن كتبوا الأحاديث المعروفة لديهم كما دل على ذلك قول الزهري السابق ، وذلك تسهيلاً لعملية التمييز بين الصحيح والسقيم .

٥- كما تتبع العلماء كلَّ من عُرف عنه الكذب في حديثه أو في حديث رسول الله ﷺ ، وسجَّلوا أسماءهم في القائمة السوداء .

٦- وقد قُتل بعض الزنادقة الذين وضعوا الأحاديث (١٤) .

٧- و وضع العلماء قواعد للجرح والتعديل ، ولمعرفة المقبول من المردود ، كما سنأتي عليه بعد قليل إن شاء الله .

وأما قضية تهويل عدد الأحاديث بالنظر إلى أعداد الأحاديث المحفوظة لدى أبي زرعة (سبعمائة ألف حديث) ، و أحمد (ستمائة وخمسين ألف حديث) ، والبخاري (ستمائة ألف حديث) ، وتقديمها إشكاليةً لا تُحَل إلا بجعل أكثرها موضوعة ، ثم اتخاذها تكأةً لرفض جميع الأحاديث أو أكثرها ... ففي الحقيقة هذا كله ناتج عن عدم استيعابهم طريقة عدّ الأحاديث عند المحدثين ، وعن عدم إدراكهم مفهوم الحديث غير الصحيح عندهم (١٥) .

لقد ذكر علماء الحديث أن كل إسناد للحديث يعتبر حديثاً مستقلاً عند المحدثين ، فمثلاً إذا كان الحديث الواحد مروياً بعشرين إسناداً - مثلاً - فيُعدّ عشرين حديثاً ، يقول ابن مهدي [ت ١٩٨هـ] : "عندي عن المغيرة بن شعبة عن النبي الكريم ﷺ في المسح على الخفين ثلاثة عشر حديثاً" (١٦) ، ومن المعروف لدى الجميع أن حديث المسح على الخفين عن المغيرة ليس إلا واحداً ، ولكن لما وصل ذلك الحديث إلى ابن مهدي بثلاثة عشر سنداً عدَّه ثلاثة عشر حديثاً ، وذكر البزار [ت ٢٩٢هـ] أنه رواه من نحو ستين طريقاً (١٧) ، وتوجد لهذه الظاهرة أمثلة كثيرة في صحيح الإمام مسلم ، والتمييز له ؛ وصحيح ابن خزيمة ، والسنن الكبرى للبيهقي ، فلا

تهويل ، ولا استحالة ، خاصة إذا كان الصحابي أو التابعي أو من بعده كثير الشيوخ والتلاميذ مثل أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصحابة ، والزهري والثوري وشعبة وأمثالهم من التابعين ومن بعدهم .

وليس معنى قول البخاري - مثلاً - "حديث غير صحيح" أنه موضوع لا محالة لأن الحديث إذا كان سنده ضعيفاً ومتنه صحيح فهو عند المحدثين يعتبر حديثاً ضعيفاً فقط ، والحديث ذاته إذا رُوي بإسناد آخر صحيح فهو صحيح عند المحدثين ، وأما اصطلاح "الحسن لغيره" فهو لم يكن قبل ابن الصلاح [ت ٦٤٣هـ] ، ولإثبات هذه الحقيقة وتفنيد شبهة المستشرقين تلك قد قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بدراسة "نسخة سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة" المحكوم عليها كلها بالوضع ، وهي متضمنة تسعة وأربعين حديثاً ، مع أن ربع أحاديثها مخرجة في صحيح البخاري ومسلم وكتب أخرى معتمدة عند المحدثين ، إذاً قد يكون الحديث صحيحاً بإسناد ، وموضوعاً بإسناد آخر ، ويعدان حديثين (١٨) .

ثم إن الإمام البخاري لم يقصد استقصاء الأحاديث الصحيحة كلها ، وإيداعها في صحيحه ، حتى يقال : إنه لم يجد أكثر من حديث واحد في كل مائتين من محفوظاته ، ولم يدّع ذلك أيضاً .

رابعاً : وصف المؤلف "معايير المحدثين للحكم على الرجال والأحاديث" بأنها ذاتية فردية بمعنى أن كل فروضها وقواعدها تقوم على أسس فردية اجتهادية سواء في وضعها أو في تطبيقها ، وأنها لا تصدق عليها صفة الموضوعية ، ولذلك - حسب قول المؤلف - اتسمت الأحكام على الرجال والأحاديث بالتضارب والتعدد ، والتنافر والاختلاف ، وبناءً على ذلك تخلص المؤلف من أشكالية السند والرواة وتعديلهم وتجريحهم ، ومن إشكالية تقسيم الحديث المتفرع على حالات السند ورواته ، ومن إشكالية

الحكم على الحديث بالنظر إلى السند ، فلا اعتبار عنده للسند ، ولا عنده حديث متواتر وآحاد ، ولا أقسام أخرى من الغريب والعزيز والمشهور ، ولا المعلق والمرسل والمعضل والمنقطع والمدلّس والمعلل وغيرها من أقسام الحديث باعتبار السند ، ولا صحيح وحسن ، ولا ضعيف وموضوع ، وإنما السنة عنده هي سنة مجردة فحسب ، وهي إما صحيحة أو غير صحيحة باعبار المتن فقط ، هذا ما ركز عليه المؤلف في طول الكتاب وعرضه أكثر من مرة .

استغربنا وصف المؤلف معايير المحدثين بذاتية الوضع وفرديته إذ لم يضعها شخص واحد ، وإنما وضعها المحدثون بالإجماع على ضوء توجيهات القرآن الكريم المتمثلة في الآيات : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ﴾ [الحجرات/٦] ، و ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ [الطلاق/٢] ، و ﴿ و استشهدوا شهيدين من رجالكم * فإن لم يكونا رجلين * فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة/٢٨٢] ، و ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وأولئك هم الكاذبون ﴾ [النحل/١٠٥] ، و ﴿ ولا تقف * ما ليس لك به علم * إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ [الإسراء/٣٦] (١٩) .

ففي ضوء هذه الآيات وضع المحدثون معايير الحكم على الرجال ، وهي : أن يكون الراوي عدلاً (أي مسلماً ، عاقلاً ، بالغاً ، سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة) ، وأن يكون ضابطاً (ضبط صدر أو ضبط سطر) ، ولما كانت العدالة والضبط صفتين تتعرضان طبيعياً للزيادة والنقصان تأثراً بعوامل داخلية أو خارجية ، تفرعت عنه درجات الرواة ومراتبهم تبعاً لكل حالة من حالات الزيادة والنقصان .

و كذلك معايير الحكم على الحديث ليست ذاتية الوضع ، و إنما هي

متفق عليها وضعاً بين الأئمة ، وذلك لأن الحديث الصحيح هو : "ما اتصل كامل سنده ، بنقل العدل ، الضابط عن مثله ، دون شذوذ ، ولا علة قادحة" ، وإذا خف ضبط الراوي قليلاً عن ضبط راوي الحديث الصحيح ، مع الاتصال والعدالة وسلامته من الشذوذ والعلة القادحة فهو حسن ، وإذا اختلّ أحد الشروط الخمسة فهو ضعيف .

هذا بالنسبة لدعوى المؤلف بكون تلك المعايير ذاتية الوضع وفرديته ، وأما دعواه بكونها ذاتية التطبيق فهي أيضاً ليست صحيحة بذلك الإطلاق المزعوم ، وذلك لأن إمام الجرح والتعديل عند ما يأتي ليحكم على راوٍ من الرواة ، فينظر هل تتوافر فيه صفة العدالة والضبط أم لا ؟ فإذا توافرتا فيه فبأي نسبة ؟ وبعد تأكده من ذلك كله يختار من ألفاظ الجرح والتعديل ما يدل على الحالة الواقعية فيه ، فيقول مثلاً : أوثق الناس (بأفعل التفضيل) وما شابه ذلك ، أو ثقة ثقة (بتكرير الصفة لفظاً) ، أو ثقة ثبت (بتكرير الصفة معنى) ، أو (بإفراد صفة مثل) : ثقة ، متقن ، ثبت ، عدل ، وهكذا ألفاظ الجرح أيضاً (٢٠) .

[للبحث صلة]

---

(١) مجلة المجتمع الصادرة من الكويت ، العدد/١٣٣٨ ، فبراير/١٩٩٩م : ص/٤٢-٤٣ .

(٢) ومن المعروف عند علماء الأصول أن "صفاته الخُلُقية" داخلة في "الأفعال" ، وأما "صفاته الخِلْقية" كملاحة وجهه ، و ربْعية قامته ، و بُعَيديه ما بين منكبيه ، و تموُّجية شعره ، وما شابه ذلك من الأوصاف التي لا يمكن للبشر اتباعه فيها بدون علاج خارجي ، فهي غير داخلة في معنى السنة عند الأصوليين ، لذلك لم يذكروهما إثباتاً أو نفياً في تعريف السنة .

(٣) رواه مسلم : الفضائل ، حديث/٢٣٦١ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) .

(٤) انظر : ابن حجر ، التلخيص الحبير : كتاب القراض : ج/٣ ، ص/٥٨ (تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني ١٩٦٤م) .

(٥) رواه البخاري : كتاب العيدين ، باب الحراب و الدرق يوم العيد ، حديث/٩٥٠ ،

(الفتح تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) ، ومسلم : كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، حديث : ١٧-٢٢ .

(٦) رواه الإمام الشافعي ، الرسالة : ص/٤٢٦ ، فقرة رقم/١١٧٢ (تحقيق أحمد شاكر) ، وأحمد : المسند : ج/٣ ، ص/٤٥٢ ، وأبو داؤد : الفرائض ، باب في المرأة ترث من دية زوجها ، حديث/٢٩٢٧ (تحقيق عزت عبيد الدعاس) ، والترمذي : الفرائض ، باب إبطال ميراث القاتل ، حديث/٢١١١ (تحقيق أحمد شاكر وغيره) ، وقال الترمذي : "حسن صحيح" .

(٧) يراجع لذلك مقالي : "الجذور التاريخية للوضع في الحديث" المنشور في العدد/١٦ ، لمجلة إسلامية المعرفة عام ١٩٩٩م .

(٨) رواه ابن عدي في "الكامل" : ج/١ ، ص/١٦٦ (دار الفكر ، بيروت ، ط/ثانية ١٩٨٥م) والطبراني في "المعجم الكبير" : ج/١ ، ص/٢٤٦ (تحقيق حمدي السلفي) ورجاله رجال الصحيح ، كما قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" : ج/١ ، ص/١٥٣ (دار الكتاب العربي بيروت ، ط/ثالثة ١٩٨٢م) .

(٩) رواه الرَّامَهُرمُزي في "المحدث الفاصل" : ص/٢٣٥ (تحقيق محمد عجاج الخطيب) والحاكم في "معرفة علوم الحديث" : ص/١٤ (طبع بيروت) ، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي والسامع" : ص/١١٧ (تحقيق الدكتور محمود الطحان) .

(١٠) رواه مسلم في مقدمة صحيحه : ج/١ ، ص/١٢-١٣ .

(١١) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" : ج/١ ، ص/٦٩ .

(١٢) رواه الخطيب في "تقييد العلم" : ص/١٠٨ (تحقيق يوسف العش) .

(١٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه : ج/١ ، ص/١٥ .

(١٤) ينظر لذلك مقالي "الجذور التاريخية للوضع في الحديث" المشار إليه في الهامش رقم/٧ .

(١٥) ينظر لذلك : الدكتور محمد مصطفى الأعظمي "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" : ص/٥٩٥-٦٠١ ، ط/ثالثة ١٩٨١م .

(١٦) ابن أبي حاتم : تقدمة الجرح والتعديل : ج/١ ، ص/٢٦١ ، طبع حيدرآباد الهند .

(١٧) الكتاني : نظم المتناثر من الحديث المتواتر : ص/٤٣ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠م) .

(١٨) الأعظمي : دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه : ص/٤٧٣-٥٨٦ .

(١٩) انظر لذلك : الدكتور نور الدين عتر : السنة المطهرة والتحديات : ص/١٣-١٦ ، ط/ثانية ١٩٨٦م .

(٢٠) انظر لذلك : ابن حجر : تقريب التهذيب (مقدمته) .

إصدارات جديدة :

تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية

قلم التحرير (س.أ.)

تكرم سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر بإهداء هذا الكتاب إلى مكتبات ندوة العلماء ، ومكتبة المجلة بوجه خاص ، والكتاب يدحض مزاعم خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذين لا يتوخون من خلالها إلا خدمة المصالح المادية ، والتصدي للدعوة الخالصة إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وهم لا يبالون في سبيل ذلك بنشر أباطيل سخيفة كحقائق علمية وتاريخية ، فقد وُجدت محاولات شائنة في شمال إفريقيا في القرن الثاني الهجري ، باسم الوهابية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الأباضي ، التي لا تمت إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأي صلة ، ولكن أعداء الإسلام المغرضين ألبسوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي هي دعوة خالصة إلى عقيدة التوحيد ، وبعيدة عن كل شائبة التقليد ، ألبسوها لباس تلك الوهابية الأفريقية القديمة ، التي لا تتصل بالتوحيد بنسب قريب ولا بعيد ، وبذلك أرادوا هدم عقيدة التوحيد في مجتمعات المسلمين ، وتقليل قيمتها في نفوسهم ، وبالتالي قطع صلتهم عن مصدر الإيمان والعقيدة ونبذهم إلى مزابل أفكار هدامة .

هذا الكتاب يزيح الستار عن الحقيقة ، ويعرض الوهابية الأصيلة بوجهها الأبيض الشفاف ، ويكشف اللثام عن وجه الوهابية الأفريقية القديمة الكالح ، ويسلط الأضواء اللامعة من الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة على الموضوع ، فجزى الله المؤلف الكريم على هذا العمل الخالص الذي لا

يتبغي عن ورائه إلا وجه الله تعالى وحده ، قامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بنشر هذا الكتاب تعميماً للنفع الديني والدعوي .

نهضة العالم الإسلامي ، في ظلال القرآن الكريم

هذا الكتاب من منشورات الأكاديمية الفرقانية بمدينة بنغلور (الهند) ، ومن مؤلفات فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي ، الذي يُعرف في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي بأفكاره الإسلامية النقية ودراسته القرآنية ، ودعوته إلى أسلمة العلوم الطبيعية ، فقد صدرت له كتب عديدة في هذا الموضوع ، وهذا آخر ما صدر بقلمه في بيان مشكلات الأمة الإسلامية ، وأسباب تخلفها ، وعلاجها بتوجيهات القرآن الكريم ، وقد تحدث المؤلف الكريم عن حاجة الأمة الإسلامية إلى صياغة نظرية جديدة عامة للعلوم والتقنية في ضوء توجيهات الإسلام ، ذلك لكي يتسنى للمسلمين أن يعتمدوا في حل قضاياهم ومشكلاتهم على التصور الإسلامي السليم ، بالاستفادة الكاملة من العلوم الحديثة ، والإبداعات العلمية والصناعية ، وبتفجير طاقة العلم والتكنولوجيا في صالح الدعوة إلى الله ، وتصحيح العقيدة الإسلامية ، وعرض المنهج الإسلامي للحياة كنظام سماوي دائم ، لا يقبل التغيير والتعديل في أي زمان ومكان ، بل الواقع أنه يُعد المرء المسلم لقيادة الحياة الإنسانية ، والعالم البشري إلى السعادة والعزة ، وإنقاذ الإنسان من جحيم الأنانية والشهوات إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، أعدت للمتقين من عباد الله الصالحين .

والكتاب قيم جدير بالاستفادة الكاملة ، وتزويد المكتبات الإسلامية بنسخ منه ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر .

أسوة رحمة للعالمين ، و واقعنا العملي

هذه رسالة ألفها الشيخ محمد كليم الصديقي ، مؤسس مجمع الإمام

ولي الله الدهلوي للبحوث الإسلامية في الهند ، تحدث فيها عن أسوة رسول الله ﷺ الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ، وهي الأسوة الدائمة الخالدة التي تشمل جميع جوانب الحياة ، وقضاياها ومشكلاتها وأعمالها ومنجزاتها ، فإنها منارة نور يرى الناس في ضوئها الطريق الواضح ، والصراط المستقيم ، الذي يؤديهم إلى الغاية المقصودة المطلوبة ، ويُريهم الواقع العملي الذي يعيشونه اليوم .

نقل هذه الرسالة من اللغة الأردية إلى اللغة العربية الجميلة الأستاذ محمد إبراهيم خان النكلوي ، أستاذ بقسم التخصص ، بجامعة الإمام ولي الله الدهلوي ، ونشرها مجمع الإمام ولي الله الدهلوي ، وقدم لها سعادة الأستاذ الدكتور محسن عثماني الندوي ، أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة دلهي (الهند) .

☆☆☆

❁ إلى رحمة لله تعالى :

فضيلة الشيخ المحدث عبد الرشيد النعماني

في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة المحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني في ١٢/أغسطس ١٩٩٩م بشئ كثير من الأسف والأسى ، فقد كان يشكو انحراف صحته منذ مدة قريبة ، مع شدة اشتغاله بدراسة الحديث وعكوفه على الأعمال التأليفية والعلمية ، كانت له علاقة وطيدة بندوة العلماء طالباً ومدرساً ومحاضراً ، وكان ذا صلة مخلصة مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ من كبار العلماء تحديثاً و تفسيراً رزقه الله تعالى نظرة واسعة عميقة في العلوم الإسلامية كلها ، وخاصة في علم السنة الذي كان

فيه مطلعاً على تاريخ فن الحديث وتدوينه ، وتراجم رجال الحديث ومكانتهم ، وتراجم أعيان المحدثين وأدوارهم في نشر السنة ، وبيان مكانتها في التشريع الإسلامي ، ألف كتاباً قيماً حول المحدث الإمام ابن ماجة ومكانته في التحديث ، وكتاباً آخر حول سنن ابن ماجة ، باسم : "ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع ابن ماجة" ، وكلا هذين الكتابين يعتبران ثروة قيمة في فن الحديث ، أما عمله في لغات القرآن فذو أهمية كبيرة ، ألف لغات القرآن مرتبة على حروف المعجم في أربعة مجلدات ، نشرت من مجمع ندوة المصنفين في دلهي (الهند) .

زار ندوة العلماء قبل مدة على دعوة من سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي لإلقاء محاضرات حول السنة ومكانتها ، وعلم الحديث ، فطابت له الإقامة فيها إلى عدة أسابيع استفاد منه خلال ذلك طلبة علم الحديث ، وأساتذته على السواء ، وكانت أياماً جميلةً حافلةً بذكريات علمية ودينية كثيرة .

كان الفقيد من مواليد ١٩١٤م ، الموافق/١٣٣٤هـ ، ومن مدينة "جَيفور" بولاية "راجستان" ، لكنه هاجر إلى باكستان بعد تقسيم الهند بأعوام واستوطن فيها في مدينة "كراتشي" ، وأصبح مدرساً للحديث والعلوم الإسلامية في دار العلوم تند واله باد ، ثم انتقل منها إلى الجامعة الإسلامية في مدينة "باولفور" كرئيس قسم الدراسات الإسلامية فيها ، وأخيراً ارتبط بجامعة العلوم الإسلامية لفضيلة المحدث المرحوم الشيخ محمد يوسف البنوري ، وعكف فيها على أعمال التدريس والبحث والتحقيق حتى وافاه الأجل .

لقد كان العلامة المرحوم نسيج وحده في الاشتغال بالعلم والدراسة والتأليف والبحث ، مع علو مكانته في الورع والتواضع ، والحرص على

الإفادة وحب العلم والعلماء ، شأن المتقدمين من علماء الحديث والتفسير ، ومن ثم كانت وفاته خسارة كبيرة لأوساط العلم والدين لا في بلاد الهند وباكستان وحدهما ، بل في العالم الإسلامي كله ، إن وفاته تركت فراغاً واسعاً في هذا المجال ، وليس من السهل أن يملأ هذا الفراغ إلا أن يقيض الله سبحانه وتعالى من يملؤه أو يحل محله من علماء الإسلام ، وما ذلك على الله بعزيز .

تغمده الله سبحانه بواسع رحمته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وطلابه الصبر والسلوان ، وجزاه على ما قام به من الأعمال العلمية الجليلة بأحسن ما يجزى به عباده المؤمنين العاملين ..

فضيلة الشيخ محمد رضوان الندوي

بجوار رحمة الله تعالى

فوجئت أسرة ندوة العلماء ومدارسها الملحقة صباح يوم السبت (٢١/من شهر جمادى الأخرى ١٤٢٠هـ ، الموافق ٢/من شهر أكتوبر ١٩٩٩م) بحادث اصطدام شديد بمدينة لكناؤ ، سبّب وفاة مفاجأة للشيخ محمد رضوان الندوي ، مبعوث وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للمملكة العربية السعودية إلى ندوة العلماء ، وأحد أساتذة كلية الشريعة فيها ، ومؤسس جامعة المؤمنات للبنات المسلمات ، ومديرها ، وذلك عن عمر يناهز ٤٦/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمد رضوان من أبناء ندوة العلماء ممن تخرجوا في السبعينيات ، والتحقوا بعد ذلك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمزيد من الاستفادة العلمية والدينية ، وبعد أن تخرج المرحوم من كلية القرآن من الجامعة الإسلامية ابتعثته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة العزيزة ، كداعية في الهند يعمل تحت إشراف ندوة العلماء ، فكان مواظباً

على عمله بكل براعة ونشاط ، ومن خلال ذلك بدا له أن يسهم في مجال التعليم والتربية الإسلامية للبنات المسلمات في هذه البلاد ، وبتوجيه من حضرات المسئولين عن جامعة ندوة العلماء ، لكي يتم إعداد الفتيات المسلمات للدعوة إلى الله وتربية الجيل المسلم ، و ذلك بإنشاء جامعة إسلامية للبنات ، وقد توفر على تحقيق هذا الهدف الجليل بالبحث عن وسائل لازمة لذلك ، وأخيراً وُفق إلى إنشاء هذه الجامعة باسم جامعة المؤمنات ، وهي الآن في تقدم وازدهار ، وفيها عدد وجيه من الطالبات المسلمات ، نرجو الله سبحانه أن تظل هذه الجامعة قائمة على برامجها التعليمية والتربوية ،ويكتب الله لها الاتساع والاستمرارية ، و يتقبلها الله سبحانه في ميزان حسناته ، إن شاء الله تعالى .

كان الراحل الكريم متميزاً بأوصاف عديدة ، منها العزم الأكيد على العمل بهمة عالية ونشاط زائد ، مع التفاؤل بالأوضاع ، والتغلب على العوائق ، ومنها الصبر على المكاره ، وإخضاع الظروف أمام جميع المشكلات ، من غير يأس أو تشاؤم ، ومنها إنشاء جو صالح للمشروعات الدينية ، والأعمال الخيرية والدعوية ، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى ، محافظاً على دراسته وتفسيره في كل حال من الإقامة والسفر .

كانت علاقته مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وأعضاء أسرته الكريمة مخلصة وطيدة ، فكان يحظى منهم بالثقة والتعاون فيما ينفعه في دينه ودنياه ، ويدفعه إلى بذل مجهودات خالصة في سبيل العمل والإخلاص لله تعالى .

كانت له جولات دعوية وتربوية في الدول الإسلامية ، فكان معروفاً بنشاطه العملي والدعوي في الأوساط الدينية ، وحائزاً على الثقة والتشجيع من جميع الجهات .

صلى عليه سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

في رحاب دار العلوم لندوة العلماء مع حشد كبير من طلاب دار العلوم وأساتذتها ، وعدد كبير من أهل مدينة لكناؤ ، ودفن في مقبرة "دالي غنج" قبيل صلاة المغرب .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وتغمده بالمغفرة ، وأكرم نزله في جنة الفردوس ، وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً .

الأستاذ مير مقصود علي خان

في ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة من مدينة "بنغلور" ، الأستاذ مير مقصود علي خان ، رئيس تحرير جريدة "سالار" اليومية ، والوزير السابق في ولاية "كرناتكا" ، وذلك في ليلة الثلاثين من شهر أغسطس ١٩٩٩م ، الموافق ١٧/من شهر جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان المرحوم من الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، ومتخرجاً من الجامعة العثمانية في "حيدرآباد" ، الهند ، ولكن ثقافته الدينية كانت متقنة ، نتيجة دراسته الواسعة للإسلام وشريعته ، فكان يجمع بين الثقافتين ، ومثل نموذجاً أمثل لشخصية المسلم الواعي ، الذي يتمتع بالفراسة الإيمانية ، والذكاء والبصيرة في الأمور ، وكان يتميز بالذوق الأدبي الرفيع مع دراسته العلمية الواسعة ، وكان من المعجبين بشخصية سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي والمحبين له ، وكان عضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، فيواظب على الحضور في جلساته ، ويسهم في مداولاته بمرئياته المفيدة ، وكان يقضي في رحاب ندوة العلماء أياماً عديدةً يتنسم فيها العلم والأدب ، ويستوحي الروح والقوة من جوها الديني ، ويبدى إعجابه وسروره بذلك ، وعلى دعوته عقدت رابطة الأدب الإسلامي ندوتها السادسة عشرة الأخيرة في شهر فبراير الماضي في مدينة "بنغلور" ،

حول موضوع "القصة في الأدب الإسلامي" .

لقد كان ممن يسعون دائماً لدعم مشاريع ندوة العلماء ومدارسها التابعة لها ، وكان حريصاً على نشر العلوم الإسلامية على غرار مناهج ندوة العلماء ، إذ كان يراها حصناً عالياً متميزاً للعلوم الإسلامية ، والأدب والدين في هذه البلاد .

جزاه الله خيراً على ما قام به من أعمال جليلة ، و خدمات مشكورة في مجال العلم والدين والأدب والصحافة الحرة النزيهة ، وأجزل مثوبته في الآخرة ، وأكرم نزله في الجنة والنعيم ، ويتغمده بواسع رحمته ومغفرته ، فإنه سميع مجيب ، وهو على كل شئ قدير .

الأستاذ شمس بير زاده

في ذمة الله تعالى

في شهر يوليو المنصرم ، استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ شمس بير زاده ، أحد رواد العلم والدين في ولاية "مهاراشترا" في الهند ، وأمير الجماعة الإسلامية لهذه الولاية سابقاً ، كان من سكان بمبائي ، حيث ولد ، وترعرع وتعلم وتدرج إلى مدارج عالية من الثقافة الإسلامية الممتازة ، توفي إثر نوبة قلبية شديدة عن عمر يربو على السبعين عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت عنده براعة في الترجمة والتأليف ، والدراسة والتحقيق ، أنشأ مركزاً باسم "دعوة القرآن" ، وألف كتباً قيمةً نشرت من هذا المركز العلمي ، ونالت قبولاً بين أوساط الشباب والعلماء ، وفق إلى تفسير القرآن الكريم باللغة الأردية ، ونشره في مجلدات عديدة ، باسم "دعوة القرآن" نال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية الخاصة والعامة ، كما أنه ألف في موضوع السنة كتاباً باسم "جواهر الحديث" جميع فيه أحاديث النبي الكريم ﷺ ، وألف رسائل عديدة حول المسائل المستجدة في الفقه الإسلامي ، فقد كان

عضواً كريماً في إكاديمية الفقه الإسلامي ، يتابع نشاطاتها العلمية ، ويشارك ندواتها الفقهية ببحوثه القيمة ، وآرائه السديدة .

كان يتقن عدة لغات كالأردية والعربية والمراتية والإنجليزية ، فكان يقوم بعمل الدعوة إلى الله في جميع هذه اللغات كتابة وخطابة في أوساط المثقفين والجماهير كلها ، وهكذا أكرمه الله تعالى بمكانة ممتازة في مجال العلم والعمل والدعوة والتأليف ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وتغمده بالغفران ، وتقبل منه مجهوداته المخلصة ، وأعماله الجليلة قبولاً حسناً ، وأنعم عليه بالجنة والنعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

رحلة الشيخ خصال الدين

إلى رحمة الله تعالى

كانت وفاة الشيخ خصال الدين مدرس المعهد الابتدائي للبنات التابع لدار العلوم ندوة العلماء ، فجاءة من غير مرض مسبق في اليوم الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٠هـ ، الموافق ٦/من شهر سبتمبر ١٩٩٩م ، وذلك إثر نوبة قلبية مفاجئة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم خير معلم ومرب للأطفال والبراعم ، يتناولهم بتربية حكيمة وأسلوب مؤثر ، ويحبب إليهم العلم والعمل ، ويبعث في نفوسهم روح الطاعة والامتثال ، قضى ١٤/عاماً في هذه المهنة المباركة ، وربى جيلاً من طلابه الذين تخرجوا من دار العلوم في العلوم الإسلامية ، وهم مدينون له في تربيتهم الأساسية .

كان على جانب وجيه من الورع والتواضع ، مواظباً على وظيفته بأمانة ودقة ، شاكراً لله تعالى على ما أكرمه به من فرصة للعمل في مدارس ندوة العلماء ، والقيام بتعليم وتربية النشء الحديث .

رحمه الله رحمةً واسعةً وتغمده بالمغفرة ، وأجزل مثوبته في الدنيا والآخرة ، ورزقه الجنة والنعيم ، فإنه هو الغفور الرحيم الكريم .

المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني

في ذمة الله تعالى

نعت الأنباء الواردة إلينا من بلاد الشام ، العلامة ناصر الدين الألباني الذي وافاه الأجل في ٢/ من شهر اكتوبر ١٩٩٩م في دمشق ، و ذلك عن حياة حافلة بالأعمال العلمية و الدينية و الخدمات المشكورة في مجال التحقيق و الدراسة ، و الكتابة و التأليف حول مواضيع من السنة و فقه الشريعة الاسلامية و أحكامها ، و كان بالغاً من العمر ثمانين عاماً ، فانالله و إنا إليه راجعون ،

كان الشيخ الألباني من كبار علماء السنة ، و المحدثين المحققين في العصر الحاضر ، وفق إلى تحقيق الأحاديث الضعيفة و بيان علل الضعف فيها ، و ما كان لها من تأثير غير حسن في حياة الأمة ، و ألف كتابه الشهير القيم في هذا الموضوع باسم « الأحاديث الضعيفة و الموضوعة » و كتابا آخر باسم إرواء الغليل » و قد تلقى الأوساط العلمية آثاره العلمية بالقبول كما أن له مجهودات في مجال التأليف و التحقيق ، و خدمات جليلة في إبراز مكانة السنة العالية و علاقتها بالتشريع الاسلامي

قام بخدمة تدريس الحديث في كلية الحديث بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة إلى مدة لا بأس بها ، و استفاد منه طلاب الحديث بوجه خاص ، ولما عاد إلى وطنه عكف على إبراز كنوز السنة و البحث عن رواة الحديث و رجاله في ضوء الجرح و التعديل ، و قد منحته المملكة العربية السعودية جائزة الملك فيصل على خدماته في مجال السنة و علم الحديث في العام الماضي .

خلف وراءه جماعة كبيرة من تلاميذه و أتباعه من علماء الحديث كما أن أعماله التحقيقية وخدماته العلمية يتجمل بها تاريخ العلماء المسلمين و المشتغلين بالحديث وفقه السنة ، و الدعوة إلى الالتزام بأحكام الشريعة الاسلامية

تغمده الله تعالى برحمته الواسعة وجزاه على ما قام به من أعمال جليلة أحسن ما يجزى به عباده العاملين المخلصين ، و أجزل مثوبته في آخرته من جنة و نعيم .

(ملحوظة) تلقينا هذا النبأ المؤلم و المجلة ماثلة للصدور فلم يكن لنا بد من نشره ، إلا في هذا المكان .